

ذخائر العرب

٣٤

ديوان البحتري

عنى بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه

حسن كامل الصيرفي

المجلد الأول

الطبعة الثالثة



دار المعارف

● ذكر أبو هلال العسكري في كتابه «ديوان المغان» أن الصول قال :

سمعت عبد الله بن المعتز يقول : لو لم يكن للبحرئى إلا قصيدته
السينية فى وصف إيوان كسرى ، فليس للعرب سينية مثلها ؛
وقصيدته فى البركة « ميلُوا إلى الدار مِنْ لَيْلَتِي نَحْيِيهَا » .
واعتذاراته فى قصائده إلى الفتح التى ليس للعرب بعد
اعتذارات النابغة إلى النعمان مثلها ، وقصيدته فى دينار
ابن عبد الله التى وصف فيها ما لم يصفه أحد قبله أولها « ألم
تر تغليس الربيع المبكر » ووصف حرب المراكب فى البحر ؛
لكان أشعر الناس فى زمانه ، فكيف إذا أضيف إلى هذا
صفاء مدحه ورقّة تشبيهه !

● وقال ابن الأثير فى كتابه « المثل السائر » وهو يتحدث عن البحرئى :

وسئل أبو الطيب المتنبي عنه ، وعن أبي تمام . وعن نفسه :
فقال : أنا وأبو تمام حكيمان ، والشاعر البحرئى .
والبحرئى إنه أنصف فى حكمه ، وأعرب بقوله هذا عن
مئانة علمه : فإنّ أبا عبادة أتى فى شعره بالمعنى المفقود
من الصخرة الصماء ، فى اللفظ المصوغ من سلاسة الماء ؛
فأدرك بذلك بُعد المرام ، مع قربته إلى الأفهام ؛ وما أقول
إلا أنه أتى فى معانيه بأخلاق الغالية ، ورقى فى ديباجة
لفظه إلى الدرجة العالية .

● وقال الثعالبي فى كتابه « برد الأكباد » إن أبا القاسم الإسكافى قال :

استظهارى على البلاغة بثلاثة : القرآن ، وكلام الجاحظ ،
وشعر البحرئى .

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله العليّ القدير ؛ الذي قد رلى أن أشهد من مظاهر التقدير الخالص
بوجهه إلىّ في كل مكان من كل بلد للعمل الذي قمتُ به في تحقيق هذا الديوان
والمنهج الذي ارتضيته في هذا التحقيق ، ما عوضني عما بذلتُ من جهد وما أنفقتُ
من عمر لأنهض بهذا الواجب .

والشكر بعد الله ؛ الذي أعانني على ذلك جلّت قدرته ، إلى العلماء الأجلّة
الذين أشادوا بما صنعت في هذا الباب ، والذين أبدوا من سديد الرأي ما استلهمتُ
منه الصواب . وإني لأشكر بخاصة الأخ الكريم العالم المحقق الأستاذ عبد السلام
محمد هارون على ما قدّم إلىّ في مقالاته التي نشرها منذ سنوات في « المجلة » وجمعها
بعد ذلك في كتابه « حول ديوان البحري » من ثناء أرجو أن أكون دائماً أهلاً له ،
وما عنتني به نفسه من استقصاء الجزء الأول من الديوان .

وأشهد أني قد أفدت كثيراً من ملاحظاته وتوجيهاته — وهو الرجل الذي
نمّس بهذا الفنّ قرابة الأربعين عاماً — فكان لهذه الطبعة حظٌّ من التصويب
على ضوء ما أثار نقده .

على أني قد احتفظت برأيي في بعض ما نقده الأستاذ الجليل من مثل :
١ — قول الشاعر في صفحة ٢٧٦ « من يتصرّع » وقول الأستاذ هارون :
صوابه « يتضرّع » .

والشاعر قد استعمل هذه الصيغة أكثر من مرة في قوله في البيت ٩ من
القصيد ٥٠٠ [صفحة ١٢٤٦] والكلمة الأخيرة فيه تؤكد لها :

أَمِنَّا أَنْ تَصَرَّعَ عَنْ سَمَاحٍ وَلِلْأَمَالِ فِي يَدِكَ أَصْطِرَاعُ
وفي البيت ٢٢ من القصيدة ٥٠٥ [صفحة ١٢٦٥] :

لَمَرَّ عَلَيْنَا غَيْمُهُ وَهُوَ مُثْقَلٌ فَعَرَجَ فِينَا وَبَلُّهُ وَتَصَرَّعَا

وفي البيت ١٤ من القصيدة ٧٠٣ [صفحة ١٨٤٣] :

يَتَصَرَّغْنَ لِلرَّجَاءِ دُنُوًّا أَلْ غَيْمِ ، وَالْوَدْقُ خَارِجٌ مِنْ خِلَالِهِ
ولقد فسرناها جميعها بمعنى التواضع والتساقط . وانظر كلام الآمدى فى
الموازنة (١ : ٣٨٤ طبعة دار المعارف) .

٢ - لفظة « العُروب » : جمع « عَرَبِيَّة » ، وهى سفنٌ رواكد كانت
فى دجلة ، وكانت عبارةً عن طواحين قائمة على هذه السفن .
قال الأستاذ هارون : « ولست أتكلم فى غرابية هذا التفسير ، وإنما الغريب
حقاً أن تُجمع العربية على العُروب ، فإنّ هذا لا يكون . وصواب
الكلمة « العُروب » بالغين المعجمة المضمومة وهى الدلاء العظيمة . . » .
ونقول إن هذا الجمع للعروب قد كان متداولاً ، ذكره الشابشى فى « الديارات »
(٤٥ طبعة أولى) حيث قال وهو يتكلم على « دير مر جرجس » على
شاطئ دجلة : « والعُروب بين يديه » .
وهذه الصيغة ذكرها ابن الرومى فى شعره أيضاً [ديوانه ١ : ٥٤٨] :

وَجَاوَزْنَا قُرَى بَغْدَادَ حَتَّى دَلَّلَنَّا عَلَيْكَ أَصْوَاتُ الْعُرُوبِ
وإن كان محقق الديوان المرحوم الشيخ محمد شريف سليم قد جعلها « العُروب »
وقال : « وفى الأصل العُروب بالعين المهملة ولا معنى له . فأصلحناه
(الغروب) » وقال فى تفسيره : « حتى دللنا عليك أصوات الغروب ،
أى إلى أن أرشدنا إليك الأصوات التى تعلو عند مغيب الشمس (أى
أذان المغرب) أو الأصوات التى تحدث من الدلاء العظيمة التى يستقى
بها الماء على السانية (الشادوف) . ولعلّ ذلك كان يفعل على شطوط
دجلة عند سامراً » .

ويذكر الأستاذ كوركيس عواد فى شرحه للديارات أن « العروب » أى
الطواحين كانت شائعة فى العراق والجزيرة وبعض ما جاورها من
البلدان ، ويرتقى استعمالها إلى ما قبل الإسلام ، وظلّت معروفةً
حتى المائة السادسة للهجرة ، ثم قلّ استعمالها . مُحيلاً إلى مقال

للأستاذ ميخائيل عواد عن « العُروب في العراق » نشر في الرسالة « مجلد ٨ سنة ١٩٤٠ العدد ٣٦٠ ص ٨٩٤ - ٨٩٦ .
٣- أخذ علينا تفسيرنا في صفحة ١٤٣ للحجّام بأنه الحلاق . وقال :
« والحلاق غير الحجّام ، فالأول لتحليق الشعر ، والآخر لاستنزاف الدم ، وإضافة عمل الحلاق إلى الحجّام لا يصبح معه أن يقال لما يستعمله الحلاق من أدواته محاجم . . . » ثم قال : « فالتعميم في تفسير الحجّام بالحلاق لا سند له في اللغة ولا الاستعمال » .

ونقول : إن البحرى نفسه قد استعمل ذلك في هجوه لصاحب

بريد مُضَرَّ فقال في القصيدة ٨٠٩ [صفحة ١٢٣٥] :

الآنَ أَيْقَنْتُ أَنَّ الرِّزْقَ أَقْسَامُ لَمَّا تَقَلَّدَ أَمَرَ الْبُرْدِ حَجَّامُ

ثم قال :

فجاءهُ بِتَقَارِيضٍ وَمُرْهَفَةٍ مِنَ الْمَوَاسِي لَهَا فِي الْحَلْقِ إِحْكَامُ

والحلق : هو إزالة الشعر . والتقاريض : المقصات

ونجد في كتاب « لباب الآداب » (٨٥) خبراً أن الحسن بن عليّ

دعا « حجّامه ليسوى من شاربه » .

وجاء ذكر « أبي حرمة الحجّام » في تاريخ الطبرى بهذه الصيغة

(٩ : ٤٥٣ دار المعارف) . وورد في كتاب « الذخائر والتحف »

وفي كتاب « الديارات » باسم « أبي حرمة المزّين » .

وكلنا يذكر حتى الثلاثينات من هذا القرن ما كان يؤديه حلاق

الصحة من أعمال القصد وخلع الأسنان .

٤ - أخذ علينا عند ذكر بيت البحرى في [صفحة ٥١٩] :

سَمَا بِالْخَيْلِ أَرْسَالاً لِسَيْمًا فَمِنْ شُؤِسٍ إِلَى الدَّاعِي وَقُوْدٍ

تفسيرنا للشؤس بأنه جمع الأشوس . وهو الجرىء على القتال الشديد .

والقود بأنها السهلة القياد .

وقال : « أمّا تفسير الشؤس بهذا فلم أره من قبل والمعروف أن

الأشوس هو الذى ينظر بمؤخر العين تكبراً واستعلاء أو غيظاً ، أو الذى يرفع رأسه تكبراً » .

وقال : « وكذلك تفسير القود على هذا الوجه ليس صحيحاً ، وإنما هو جمع أقود وقوداء ، وهو من الخيل : الطويل العنق » .

ونقول إن تفسير الأشوس كما ذكرناه منقول عن اللسان (٧ : ٤٢٢ سطر ٧ طبعة بولاق) .

والتفسير الذى جاء به الأستاذ الجليل لكلمتي « الشوس » و « القود » صحيح لاغبار عليه ، ولكنه لايناسب الموقف هنا ، وإنما الذى يناسبه تفسيرنا ؛ حيث يذكر البحرى أن ممدوحه كان يرقى بخيله فى أرسال متابعة إلى مقر قيادة سيما الطويل حاكم أنطاكية لينقض بها عليه . فلو أن الخيل كانت تنظر بمؤخر العين تكبراً لتدهورت من هذا الجبل إلى سفحه ، ثم هو يصفها بأنها كانت سهلة القيادة تجيب دعوة الداعي إلى القتال فلا تحرن .

ولعل الأخ الكريم يوافقنى على أن التفسير الآخر ينطبق على الخيل إذا كانت فى موقف عترض لاموقف حرب .

• • •

هذا بعض مما أردت أن أذكره فى مناسبة الطبعة الثانية . أما ملاحظات أخى العالم المحقق الحجة فقد كانت هادياً لى صوبت ما جانبى التوفيق فيه على ضوئها - والعصمة لله وحده - شاكراً للأخ الكريم جميل عنايته وتفضله بما قدّم ، حفظه الله ، ومستزيداً منه ومن غيره من العلماء الأجلاء ما يهدينا إلى وجه الحق .

وبعد ؛ فهذه هى الطبعة الثانية أقدمها ، وأنا أرجو أن يقدر الله لى أن أقدم طبعة ثالثة بإذنه تعالى تكون أقرب إلى الكمال الذى أحاول أن أبلغ أعتابه .

حسن كامل الصيرفى

مقدمة الطبعة الأولى

الشاعر الفنان

خلال عام ١٩٤٩ وقعت لي نسخة من كتاب « عبث الوليد » لأبي العلاء المعري ، الذي نقد فيه طائفة من شعر أبي عُبَّادة البُحْتَرِي فردّني هذا الكتابُ إلى قراءة ديوان البحتري « واسترعى نظري أن الديوان قد خلا من قصائد كثيرة أشار إليها المعري ، وبخاصة قصائده التي كتبها في الحُقبَة التي استولى فيها أحمد ابن طولون على الشام ؛ ودفعني هذا الكتاب إلى البحث عن هذه القصائد الضائعة . وحرّضني أخى العزيز الأستاذ إبراهيم الأبياري على المضي في هذا البحث والعمل على تحقيق الديوان ، ولم يزل بي يسهّل لي الأمر ويهوّنه حتى اندفعت في المأزق الصعب الذي لم أستطع الخروج منه « وكلّما سخرت من نفسي ردّتي تشجيعه إلى قطع الطريق حتى النهاية .

ومضيت أشهراً أذهب في بياض كل نهار إلى دار الكتب أراجع مخطوطات الديوان ، ثم ألتقي بالأستاذ الأبياري كل مساء في حجرة بأعلى دار المجمع اللغوي بشارع قصر العيني حيث كان يشترك مع الصديق الدكتور مراد كامل في وضع أسس « المعجم الكبير » . وكانت هذه الحجرة تزخر بعدد ضخم من المراجع في اللغة والأدب والتاريخ « فأمضى مع الصديقين الكريمين ساعات اجتماعهما أقلب صفحات هذه المراجع بحثاً وراء بيت شعر للبحتري « ناقلاً ما أجده ، مُقارناً بين روايته في تلك المراجع وروايته في الديوان .

ثم تمادى بي الأمر ، فسعيت وراء مخطوطات الديوان أنقب عن أماكنها في كل مكان ؛ وكان أن انتهرت فرصة سفر الأخ الأستاذ محمد رشاد عبد المطلب في أواخر عام ١٩٤٩ إلى تركيا « فطلبت إليه أن يبحث لي عن مخطوطات الديوان الموجودة هناك ممّا ذكره المستشرق الكبير الدكتور كارل بروكلمان في كتابه

« تاريخ الأدب العربى » . فتكرّم مشكوراً بالرجوع إليها ووصفها لى فى رسالة خاصة .

ثم بدأتُ فى نسخ شعر الديوان . ومقارنة الطبعات الثلاث بعضها ببعض ، وأخذتُ بعد ذلك فى نقل ما فى مخطوطات القاهرة من زيادات عن الطبعات الثلاث . فشجعتنى على الاستمرار فى هذه التجربة عنورى على الكثير من القصائد انضاعة التى أشار إليها أبو العلاء المعرى فى كتابه « عبث الوليد » . ثم أخذتُ فى تصوير كثير من المخطوطات الموجودة فى خارج البلاد ، فحصلت على المخطوطة المحفوظة بمكتبة ميونخ ، وقد رُتبت فيها القصائد على حروف الهجاء ، وهى نسخة غير كاملة ؛ ثم حصلت على المخطوطة المحفوظة بمكتبة كوبريلنى بالآستانة ، وهى التى نُشرت عليها طبعنا الآستانة وبيروت ، وبعد ذلك تابعت السعى فى تصوير غيرهما من النسخ حتى صوّرت بعض مخطوطات دار الكتب المصرية .

وانصرفت عما حولى أدرس شعر الرجل « وأنابع الأحداث التى يشير إليها » وأدرس مع ذلك كله عصره وبخاصة الثمانين عاماً التى عاشها وحياته خلالها وعلاقاته مع أهل عصره من خلفه ووزراء وكتّاب وأدباء وشعراء وقادة وأمراء ورجال بلاط وفدءاء . حتى المغمّرين من الناس الذين ذكرهم فى شعره رحلت أقلب صفحات الكتب منقبّياً عما يكشف لى ظلّ صورة لهم .

وأخيراً وجدت أن ما حسبته ميسراً سهلاً هو فى الحقيقة أمرٌ مُضنٌّ . وأن الطريق إليه ليس معبداً كما تصوّرت « وأن هذا الشاعر الذى يرقُّ أحياناً حتى يصير شعره كالجدول الرقاق يشقُّ مأوه الصافى عن حصائنه : يهدر أحياناً أخرى كالحيط تعلو أمواجه وتهبط وتنفسح رقعة فلا يُعرف مدى انتهائه .

وكم من مرة حدثتني النفس بالتوقف عن هذا الأمر : وتخليص النفس من هذا الأمر ، والبعد عن هذا الطريق الوعر ؛ ولكن هاجساً خفياً كان يهتف بى ألاّ أترك الأمانة التى قيضتني الأقدار لها عن غير علم منى بالأدع شعر هذا الشاعر الفنان ينشر على الناس فى مظهر لا يلىق بجمال شعره فى حين يظهر شعر من هم أقلُّ مرتبة منه فى مظهر أنيق « وعلى جانب كبير من الدرس والتحقيق .

ونسيّتُ شعري أنا ، وغفلتُ عن جمعه وتبويبه . وراء جمع شعر البحري

الذى هالني أن أجده - وهو صاحب الشعر الذى سُمي «سلاسل الذهب» لعذوبته
وحماله - يصرخ في زمانه قائلاً :

عَلَى نَحْتِ الْقَوَائِي مِنْ مَقَاطِعِهَا وَمَا عَلَى لَهُمْ أَنْ تَفْهَمَ الْبَقَرُ
وفكرتُ ، أول الأمر « في تأريخ قصائد الديوان تمهيداً لنشرها حسب الترتيب
التاريخي لنظمها ، ولكنني عدلت عن هذه الفكرة بعد فترة من الزمن حين تعذّر
على الاهتداء إلى تأريخ لعدد من القصائد ، وحتى لا أقيّد مَنْ بَعْدِي باحتمالات
قد أكون مخطئاً فيها » ورأيتُ أن الأفضل نشره مُرتّباً على حروف المعجم ؛
والنسخ التي بين يديّ من هذا الضرب من الترتيب مختلفة إلى جانب أنها حديثة لم
يُشر في واحدة منها إلى أصول قديمة نُقلت عنها ؛ وجدت أن أقدم مخطوطة أخذت
بهذا الترتيب هي المحفوظة بالمكتبة الأهلية في باريس « فحاولتُ الحصول على صورة
منها ولكن تأخر حصولي على طلبتي ثلاث سنوات لظروف خارجة عن إرادتي
مع الأسف . وكان عملي خلال تلك السنوات الثلاث قد تعرّش ودبّ اليأس إلى
نفسي « وران الشاؤم عليها . وما كدت أتسلم (الميكروفيلم) الخاص بها حتى
قمت بتكبيره على لوحات ، وعدت إلى العمل بعد انقطاع . وكنت إذ ذاك في
عام ١٩٥٥ .

وفي عام ١٩٥٧ كان القسم الأول والثاني من الديوان في مطبعة دار المعارف «
ولكن ظروفاً قاهرة حالت دون ظهور الديوان في موعده . ولعلّ القدر كان يعمل
على تأخير ظهوره حتى يخرج للناس في هذه الفترة الخطيرة من حياة الأمة العربية ؛
فهذا الشاعر الذي تفتحت عيناه على نور وطنه سوريا « ثم احتضنته العراق وأكرمت
وفادته « تُعنتي مصر بنشر ديوانه في هذا المظهر الذي نرجو أن نكون قد أدّينا به
الأمانة التي ألقينا علينا الأقدار واجب رعايتها .

• • •

وبعد ؛

فأما الشاعر الذي فرغتُ له « وقطعت من عمري سنوات حرمت نفسي
خلالها من الراحة ؛ يصحني حين أصطاف ، ويلازمني حين أشتو « ويفض

على ليالات غموض في بعض شعره أريد أن أزيح خفاءه أو بعض خفائه ،
ويشغل فكرى ألياماً تحريف فيه : فأغدو وأروح مقلّباً الرأى على كل وجه لأقيم
عيوجته وأردّه إلى استوائه . . هذا الشاعر جدّير بالأأقصر هنا صفحات
قلائل على عرض حياته ، فمجال ذلك دراسة كبيرة أرجو أن يتاح لى - إن كان فى
العمر بقيّة - أن أقدمها بعد الفراغ من نشر الديوان كاملاً .

ولكننى أقدم هنا بين يدى الديوان كلمة سريعة فى شعر هذا الرجل الذى
خلق ليكون شاعراً : ولو تأخّر به الزمن هذه القرون الأحد عشر التى مضت
منذ وُلد فى عام ١٢٠٤ هـ ، ومات عام ١٢٨٤ هـ ، لكان له فى لونين من الفنون
الحديثة مكان أى مكان ، وأعشى بهذين اللونين : الموسيقى والتصوير .

فالشاعر البحرى الذى يقول :

الشَّعْرُ لَمْحٌ تَكْفِي إِشَارَتُهُ وَلَيْسَ بِالْهَذَرِ طَوَّلَتْ خُطْبُهُ

هو الذى عبّر فى شعره عن قضية أدبية دار فيها الرأى بين نقّاد الأدب
الأقدمين واشتجر النقاش ، هى قضية اللفظ والمعنى ، فهو يرى المشاكلة بينهما
ويقرّر ذلك حين تروعه المعانى وقد :

حُزْنَ مُسْتَعْمَلِ الْكَلَامِ أَخْتِيَارًا وَتَجَنَّبَنَ ظُلْمَةَ التَّعْقِيدِ
وَرَكِبَنَ اللَّفْظَ الْقَرِيبَ فَأَذْرَكَ نَ بِهِ غَايَةَ الْمُرَادِ الْبَعِيدِ

وقد استطاع البحرى بمذهبه هذا أن يتسّم قمة الإبداع فى حسن التعبير عن
معانيه بوضوح وجمال ، فبدّت وكأنها كما يقول ابن الأثير « نساء حسان »
عليهن غلائل مصبغات . وقد تخلّين بأصناف الخلقى . وما يقصد ابن
الأثير إلّا هذا الرنين البديع الذى يلازم تعبير البحرى ، وهذه الرشاقة التى
تصاحب تصويره .

ولم يكن البحرى بالذى يجهل قدر المعنى أو يُغضّل عليه اللفظ ، ولكنه
يعرف أن جمال المعنى يتطلّب منه جمال اللفظ فهو يقول :

وَاللَّفْظُ حَلَى الْمَعْنَى . وَلَيْسَ يُرِيدُ لَكِ الصُّفْرُ حُسْنًا يُرِيكَ ذَهَبُهُ

فالمعاني عند البحترى أرواحٌ تتحرك وتتنفس ، فهو يخلق لها الجو الملائم ، يمازج فيه بين الألوان ويؤلف ، ويربط فيه بين الأوزان ويوحد ؛ عملية من عمليات الصياغة الفنية ، بضرب فيها بريشته الضربات المريعة التي يقول عنها إنها « ملح تكفى إشارته » .

فهو حين يرسم لنا صورة الربيع يقدم لنا أجزاء الصورة متتابعة المعاني ، يأخذ كل جزء منها بأطراف سابقه ، كما في قوله :

أَتَاكَ الرَّبِيعُ الطَّلُقُ يَخْتَالُ ضَاحِكًا مِنْ أَلْحُسَنِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ
إذ يمهّد بهذا إلى القطة الحلوة التي تنتبه لها الطبيعة من غفوة كادت أن تكون مواتًا ، ثم يصوّر لنا في الجزء التالي من الصورة هذا التنبه الحالم الوداع بقوله :

وَقَدْ نَبَّهَ النَّيْرُوزُ فِي غَسَقِ الدَّجَى أَوَائِلَ وَرْدٍ كُنَّ بِالْأَمْسِ نُومًا
يُفْتَقُّهَا بَرْدُ النَّدَى ، فَكَأَنَّهُ يَبِثُّ حَدِيثًا كَانَ قَبْلُ مُكْتَمًا

ولا يخرج الشاعر في هذا عن الجو الحالم ، فهو يعطينا الصورة وادعة مُتَمَسِّكَةً في حديث هادئ لاجتماعه فيه ولا تغور ، يبثه الندى في حنان إلى الورد الذي بدأت أزواره تنحل عنه ليكشف عن مفاته . وهذه خلجات تعتلج في نفس الشاعر ، فهو يصوّر إحساسه الباطن ، ليعود في الجزء الثالث من الصورة إلى الحسّ الواعي الذي يشترك فيه مع غيره من الناس ، فيقول :

فَمِنْ شَجَرٍ رَدَّ الرَّبِيعُ لِبَاسَهُ عَلَيْهِ ، كَمَا نَشَرْتَ وَشَيْئًا مُنْمَمًا
وهو بهذا يكمل أجزاء الصورة السابقة ، فإن أول شيء يفكر فيه المستيقظ عند انتباهه أن يأخذ أهبطه للقاء الناس باللباس الذي يروق لهم . ثم يتابع هذا بقوله :

أَحَلَّ ، فَأَبْدَى لِلْعُمُورِ بِشَاشَةً وَكَانَ قَدْ ذَى لِلْعَيْنِ إِذْ كَانَ مُخْرِمًا
فهو بعد أن طوّف بخياله في هذا المنسك الرائع من مناسك الطبيعة

يرتدُّ بذهنه إلى صورة من صور الواقع الحسى يستمدُّها من إحرام الحجيج حين يتجردون من ممخيط الثياب ، ويأخذ من هذا المشهد الذى بقى عالقاً بذاكرته من حَيَجَتَيْنِهِ صورةً لتجرُّد الأشجار من أوراقها وأزهارها .

فشاعرنا لا يكتفى بعرض اللوحة أمامنا بألوانها الطبيعية التى نقلها عن الطبيعة ذاتها ، ولكنه يدعنا نلمح فى أرضيته اللوحة ظلالاً أخرى تُضفي على الصورة حيوية حين يمازج بين إحساس خفى وإحساس ظاهر .

• • •

وفى صورة أخرى يقدمها لنا البحرى ذرى التمازج الكامل بينه من ناحية أحاسيسه الباطنة القائمة وبين مظاهر الطبيعة المتألقة الباسمة إذ يقول :

إِنْكِيَا هَذِهِ أَلَمَ عَانِي أَلْتَنِى أَخْ	لَمَقَهَا بَعْدُ عَهْدَهَا بِالْفَوَانِ
أَسْعِدَا أَلْغَيْثَ إِذْ بَكَاهَا وَإِنْ كَا	نَ خَلِيًّا مِنْ كُلِّ مَا تَجِدَانِ
جَادَ فِيهَا بِنَفْسِهِ فَاسْتَجَدْتُ	حُلَلًا مِنْهُ جَمَّةَ أَلْوَانِ
فَقَى تَهْتَزُّ بَيْنَ إِفْرِنْدِهِ أَلْأَخْ	ضَمِرٍ حُمْنًا ، وَوَشِيهِ الْأَرْجَوَانِ
فِي سَمَاءٍ مِنْ خُضْرَةِ الرَّوْضِ فِيهَا	أَنْجُمٌ مِنْ شَقَائِى النُّعْمَانِ
وَأَضْفِرَارٍ مِنْ لَوْنِهِ وَأَبْيَضَاضِ	كَاجْتِمَاعِ أَلُّجَيْنِ وَالْعَقْبَانِ
وِيرِيكَ الْأَحْبَابَ يَوْمَ تَلَاقِ	بَاعْتِنَاقِ الْحَوَذَانِ وَالْأَفْحُورَانِ
فَكَأَنَّ الْأَشْجَارَ تَعْلُو رَبَاهَا	بِنَشِيرِ أَلْيَاقُوتِ أَلْمَرْجَانِ
وَكَأَنَّ الصَّبَا نَرَدَّدُ فِيهَا	بِنَسِيمِ أَلْكَافُورِ أَلزَّعْفَرَانِ
قَدْ تَصَابَيْتُ فَأَعْذِرِي أَوْ قُلُوبِي	لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الصَّبَا مِنْ شَانِي
وَتَذَكَّرْتُ وَافِدَ الشَّيْبِ فَاسْتَعِ	جَلْتُ حَظِّي فِي الرَّاحِ أَلرَّيْحَانِ

فهنا صورة مختلفة عن الصورة الأولى التى عرضناها للربيع . . . الصورة هنا تزاوِجُ الألوان القائمة فيها الألوان الزاهية ، وتطلُّ من خلال البسات ومنفصات دموع ، وتسمع من بين هذا الموكب المريح أناتٌ خافتة ، وتعبُّرُ سماءَ هذا

الآلئ الضاحك سحاباتُ حزن وأسى . فالشاعر حين بدأ قصيدته بهذا المطلع :

أَذْمُعُ قَدْ غَرِينَ بِالْهَمَلَانِ وَفُوَادُ قَدْ لَجَّ فِي الْخَفَقَانِ

مهَّد أسماعنا . واسترعى انتباهنا إلى هذه الانفعالات النفسية التي يجيش بها صدره : فهو يقابل صورةً بصورة ، ويعكس ألواناً مع ألوان : ليربط بين الصورتين في وحدة تامة ؛ ماضٍ كان كهذا الربيع المتألق . في شباب كان يأخذ من نِعَم الحياة نصيبه منها ، ثم تسرع الأيام فتطوى هذا الشباب وتُسَلِّمُ إشراقه ومراحته وزهوه إلى مشيب يكبح جماح الأمل في النفس . ويحاول أن يُخمد نبضات الرغبات في القلب ، فهو حين يرى بكاء الغيث قد ردَّ إلى الطبيعة جمالها وابتسامها يعاوده أملٌ فيتصابى . ولكن الأمل مَهْيُض الجناح ، فيتلفت إلى ما حوله ، ويقول في أسى :

ليس شَيْءٌ من الصَّبَا مِن شَانِي .

ويردُّه تَأَلُّفُ الألوان وتعاثُّ النبات إلى ذكرى ماضٍ حلوا واجتماع هنيء ذهاباً ، فلا يعيدهما إلى البعث بكاءً كبكاء الغيث .

■ ■ ■

وبمثل هذه الأداة الفنية يتناول البحترى صورته . ولتقف معه وقفة خشوع أمام الصورة الخالدة التي تركها . وأعنى بها قصيدته في إيوان كِسْرَى : ولا أريد أن أنطرق إلى تحليل هذه الرائعة الفنية هنا . ولكنني أشير إلى الربط بين ما في نفس الشاعر وما في المشهد الذي يقف أمامه . فالشاعر يمرُّ بالإيوان وهو في حالة نفسية حزينة إذ كان قد سئم الحياة في البيئة التي كان يعيش فيها ، وكان يتحين الفرص ليعود إلى وطنه الشام . يرجو ويلجئ ، والوزير أبو الصَّقر إسماعيل بن بُلْبُل لا يجيب رجاءه حتى صرَّح بذلك في قصيدة مدح بها أحمد بن طولون قال فيها :

فَأَصْبَحْتُ فِي بَغْدَادَ لَا الظِّلُّ وَاسِعٌ وَلَا الْعَيْشُ غُضُّ فِي غَضَارَتِهِ رَطْبُ
أَأْمَدُحُ عُمَالَ الطَّسَارِيعِ رَاغِباً إِلَيْهِمْ . وَلِي بِالشَّامِ مُسْتَمْتَعٌ رَغْبُ

فَأَيْنَهَاتَ مِنْ رَكْبٍ يُؤَدِّي رِسَالَةً إِلَى الشَّامِ إِلَّا أَنْ تَحْمِلَهَا الْكُتُبُ
ويخرج الشاعر في رحلة صوب « المدائن » ليرى إيوان كسرى ثابتاً على
الزمن ، جليداً على الأحداث : فتعكس صورة حياته على الإيوان ، وتعكس
صورة الإيوان على نفسه . وتتألف الصورتان ، ويقف مشدوهاً أمام هذا البنيان
المترفع عن التهاوى فيقول :

صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يُدْنِسُ نَفْسِي وَتَرَفَعْتُ عَنْ جَدَا كُلِّ جَبِينِ
ثم ينظر إلى تماسك لبينات هذا القصر فيستشعر العزة في نفسه والقوة في
روحه ، ويرى في أعماق نفسه أنه يجب ألا يقل في تماسكه عن هذا الجماد ،
فيقول :

وَتَمَاسَكْتُ حِينَ زَغَزَعَنِي الدَّدُ رُ الْتِمَاساً مِنْهُ لِنَفْسِي وَتَكْسِي
وتنطلق انفعالاته النفسية من مكمنها . فهو يصور أحزانه وآلامه وضيقه
بالغربة في سبيل العيش . وبالسنين التي كرت من حياته فألانت من إباته ؛
وتنطلق مع انفعالاته النفسية مواكب تاريخية تتزاحم على خياله : وهو يشهد آثار
الفن الفارسي على جدران الإيوان . ثم يحس أنه يكاد أن ينهاى ، وأن تماسكه
يوشك أن يتلاشى : فيعكس ما في نفسه من أحاسيس على الإيوان نفسه . فيقول إن
الإيوان :

يُتَظَنَّى مِنَ الْكَاتِبَةِ أَنْ يَبْ دُو لِعَيْنَي مُصْبِحٍ أَوْ مُمَسِي
مُزَعَجاً بالفراق عن أنيس ألفٍ عَزَّ ، أَوْ مُرْهَقاً بِتَطْلِيحِ عُرْسِ
عَكَسَتْ حَظَّهُ اللَّبَالِي وَبَاتَ أَلْ مُشْتَرِي فِيهِ ، وَهُوَ كَوَكَبُ نَحْسِ
فَهُوَ يُبْدِي تَجَلُّداً ، وَعَلَيْهِ كَلْكُلٌ مِنْ كَلَاكِلِ الدَّهْرِ مُرْبِي

وأكد أحس أنه أراد أن يطابق بين صورة حياته ، وقد رحل عن جاه عريض
ومجد طال أمدُه في رحاب خلفاء العصر ووزرائه في بغداد ؛ وبين صورة الإيوان ،
وقد تعرَّى من مجده الحائل وعزه الزائل ؛ فهو يقول :

لَمْ يَعْبَهُ أَنْ بُزَّ مِنْ بُسْطِ الدِّيِّ بَاجٍ ، وَأَسْتُلَّ مِنْ سُتُورِ الدَّمَقِيسِ
مُشْمَخِرٌ تَعْلُو لَهُ شُرُفَاتٌ رُفِعَتْ فِي رُؤُوسِ رَضْوَى وَقُدُوسِ

• • •

وثمة صورة أخرى استمدَّ الشاعر فيها معانيها من أعماق نفسه ، وطابق فيها بين أحاسيسه الظاهرة والباطنة . وهي قصيدته في وصف الذئب الذي لقيته في طريقه وهو يشقُّ البادية سعياً وراء الرزق (القصيدة رقم ٢٨٩) ، ولعلها هي أول خطوطه في هذا اللون . ففي هذه القصيدة يطابق بينه وبين الذئب ؛ كلاهما يضرب في مجاهل الصحراء ، وكلاهما جائع ؛ عوامل الشر وعوامل الخوف تتتاب كلاً منهما ؛ وغريزة حب البقاء تستولى على كل منهما بالصورة التي تتفق مع لون دفاعه .

إنها صورة رائعة من صور الصراع النفسي من أجل الحياة ، استطاع فيها البحترى - على رغم حداثة سنه حين قال هذه القصيدة - أن يوفق بين تنسيق أجزائها ، واستطاع كذلك أن يعبر عن أحاسيسه الباطنة بما يكشف عن نزعة الفنية التي أخذت في النمو بعد ذلك ، كما استطاع أن يدل على لسمّاحيته الخاطفة التي تبدو في كثير من شعره ، وذلك في قوله حين أطلق سهمه على الذئب فأصاب قلبه ، فكان سريع اللحم حين قال - في صديق تعبير - معناه الذي يصور ما في أعماق القلوب من نوازع متضاربة بقوله : « بحيث يكون اللبُّ والرُّعبُ والحقُّدُ » .

• • •

وكما رأينا البحترى يخزن في ذاكرته مشاهد مرّت بحياته كصورة إحرام الحجيج فشبه بهم تجرّد الأشجار من أوراقها في الخريف ، نراه يخزن من البادية مشاهد كثيرة ، فهو حين يصف المعركة البحرية التي خاضها العرب مع أسطول الروم (في القصيدة ٣٨٧) يرتدُّ بخياله إلى البادية وهو يشبه ضجيج البحرين وراح الحارين بتريد صوت المسنّن من الإبل فيقول :

كَأَنَّ ضَجِيجَ الْبَحْرِ بَيْنَ رِمَاحِهِمْ إِذَا اخْتَلَفَتْ تَرْجِيعُ عَوْدٍ مُجَرَّجِرٍ
ويرتد خياله أيضاً مرة أخرى إلى البادية وهو يصف رحلته إلى العراق في قوله
(من القصيدة ٢٧) :

وَرَمَتْ بِنَا سَمْتَ الْعِرَاقِ أَيَانِقُ سَحْمُ الْخُدُودِ لُغَامُهُنَّ الطُّحْلُبُ
من كُلِّ طَائِرَةٍ بِخَمْسِ خَوَافِقٍ دُعَجٍ كَمَا ذُعِرَ الظَّلِيمُ الْمُهَذَّبُ
يَحْمِلُنَ كُلُّ مُفَرِّقٍ فِي هِمَّةٍ فَضْلٍ يَضِيقُ بِهَا الْفَضَاءُ السَّبَسَبُ
فهو يشبه السفن التي حملته ومن معه بالشوق . ويشبه الطُّحْلُبَ العالق بها من
طول مكثها في الماء بالزَّيْبَدِ الخارج من أفواه الإبل ، ثم يصف هذه السفن بأنها
سود الحدود لأنها مطلية بالقار . ثم يصف بعد ذلك سرعتها فيقول إنها تطير
بخمس خوافق أى أربعة مجاديف وقائم الشراع . ويشبهها بالظَّلِيمَ الذي هو ذَكَرُ
النَّعَامِ حين يَجْفُلُ من الفزع .

° ° °

وكلنا نعرف ولعه بوصف الخيل وطيف الخيال . وقد افتنَّ في هذا الباب
حتى ضُرِبَ المَثَلُ بوصفه لهما ، ولكنَّ للبحرَى وَلَعًا آخر لا يقل عن
ولعه بوصف الخيل وطيف الخيال ، ذلك هو وصف الحركة والسرعة وصفاً يبلغ
فيه حدَّ الإبداع ، فهو يدير المعاني في هذا الباب بما يتفق مع كل ضَرْبٍ من
ضُرُوبِهِ . فحين يصف فرار قائد الروم في قصيدته التي وصف بها المعركة البحرية
(القصيدة ٣٨٧ التي أشرنا إليها) يقول :

مَضَى ، وَهُوَ مَوْلى الرِّيحِ ، يَشْكُرُ فَضْلَهَا عَلَيْهِ ؛ وَمَنْ يُولِ الصَّنِيعَةَ يَشْكُرُ
تَعَلَّقَ بِالْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ بَعْدَ مَا تَذَقَّصَهُ جَرَى الرَّدى الْمُشَهْطَرِ
فقد جعل هذا القائد الهارب عبداً للريح التي ردت له الحياة حين أسلم
إليها شراع متركبه حتى وصل إلى الشاطئ فتعلَّق بالحياة من جديد . ولكن بعد
أن ترك الرَّدَى الذي لاحقه آثار المعركة في نفسه : مرارات خِزْيٍ ؛ وفي جسده :
طعنات رماح .

وحين يصف فرار لؤلؤ من ابن طولون يقول (القصيدة ٣٩) :

تَخْطَأُ عَرْضَ الْأَرْضِ رَاكِبٌ وَجْهَهُ لِيَمْنَعَ مِنْهُ الْبُعْدُ مَا يَبْذُلُ الْقُرْبُ
يُحِبُّ الْبِلَادَ ، وَهِيَ شَرْقٌ لِشَخْصِهِ ؛ وَيُذْعِرُ مِنْهَا وَهْيَ مِنْ فَوْقِهِ غَرْبُ
إِذَا سَارَ سَهْبًا عَادَ ظُهُرًا عُدُوَّهُ وَكَانَ الصَّدِيقَ غُدُوَّهُ ذَلِكَ السَّهْبُ

فهو يصف تفزُّع هذا الهارب الذي يملكه الهلّاع من كل صوب ، يحب ما أمامه من السُّهوب لأن فيها أمل النجاة وهو مسرع لا يلوى على شيء حتى إذا قطع منها سهباً . أى مفازة ، وخلفه وراء ظهره أصبح هذا السهب المتخلف عدوًّا له لأنه يتبعه من خلفه كما يتبعه العدو الذي يلاحقه ، في حين أنه كان يرى - في أول النهار حين بدأ الفرار - كلَّ سَهْبٍ أمامه صديقاً يفتح له أبواب النجاة .

أما الحركة في الحروب فصُورُها تختلف في معانيها عن صورها في الهروب كقوله (في القصيدة ١) يصف اندفاع الأبطال المحاربين إلى حومة الوغى كالفراس برنمى في النار :

وَعَصَائِبُ يَتَهَافَتُونَ إِذَا ارْتَمَى بِهِمْ أَوَغَى فِي غَمْرَةِ الْهَيْجَاءِ
مِثْلَ الْبِرَاعِ بَدَتْ لَهُ نَارٌ وَقَدْ لَمَعَتْهُ ظُلُمَةُ لَيْلَةٍ لَيْلَاءِ
يَمْشُونَ فِي زَغَفٍ كَأَنَّ مُتُونَهَا فِي كُلِّ مَعْرَكَةٍ مُتُونُ نِهَا
بِيضُ تَسِيلٍ عَلَى الْكُمَاةِ فُضُولُهَا سَيْلَ السَّرَابِ بِقَفْزَةٍ بِيْدَاءِ
فَإِذَا الْأَسِنَّةُ خَالَطَتْهَا خَلَّتْهَا فِيهَا خَيَالٌ كَوَاكِبٍ فِي مَاءِ
أَبْنَاءُ مَوْتٍ يَطْرَحُونَ نَفُوسَهُمْ تَحْتَ الْمَنَائِيا كُلَّ يَوْمٍ لِقَاءِ

وحين يصف انتهاء معركة تبدد فيها شمل النافرين يقول (في القصيدة ٦٣) :

وَكُنْتُمْ شَمَاعاً مِنْ طَرِيدٍ مُشَرَّدٍ ، وَثَاوٍ رَدٍ ، أَوْ خَائِفٍ مُتَرْقِبٍ
وَمِنْ نَفَرٍ فَوْقَ الْجُدُوعِ كَأَنَّهُمْ إِذَا الشَّمْسُ لَاحَتْهُمْ حَرَابٌ تُنْصَبِ

ويصف كذلك معركة ابن مُصَنَّب مع الخُرَمِيَّة أنباع بابل فيقول (في القصيدة ٢٧ التي أشرنا إليها) .

فَمُجَدِّلٌ ، وَمُرْمَلٌ ، وَمُؤَسَّدٌ ، وَمُضَرَّجٌ ، وَمُضْمَخٌ ، وَمُخَضَّبٌ
سُلْبِيًّا ، وَأَشْرَقَتِ الدِّمَاءُ عَلَيْهِمْ مُحْمَرَّةٌ : فكأنَّهم لم يُسَلِّبُوا
وقد قال أبو هلال العسكري في كتاب « الصناعتين » إنَّ لفظة (مُحْمَرَّة)
حَشَوٌ . ولو تَنَبَّه إلى قول الشاعر قبل ذلك بأبيات في هذه القصيدة
ذاتها :

تِلْكَ الْمُحْمَرَّةُ الَّذِينَ تَهَافَتُوا فَمُشْرِقٌ فِي غِيٍّ وَمُغْرَبٌ
لَمَّا قَالَ ذَلِكَ : لأن البحريَّ يشير في هذه اللفظة إلى شعار هؤلاء المحمَّرة -
- أتباع بابك - وهو اللباس الأحمر فيقول إن دماءهم قد كَسَتْهُمْ فكأنهم
لا يزالون في شعارهم الأحمر لم يُسَلِّب عنهم .
أما الحركة في الرحلات فتبدو في صورة أخرى مختلفة عن تلك الصور في قوله
(في القصيدة ٥٤٧) :

أَزَاجِرُ أَنَا جُرْدَ الْخَيْلِ أَجْسِمُهَا سَيْرًا إِلَى الشَّامِ إِغْدَا وَإِجَافًا
دَوَافِعُ فِي أَنْخِرَاقِ الْبَرِّ : مَوْعِدُهَا مَدَافِعُ الْبَحْرِ مِنْ بَيْرُوتَ أَوْ يَافَا
حَتَّى تَحُلَّ ، وَقَدْ حَلَّ الشَّرَابُ لَنَا جَذَاتِ عَدْنٍ عَلَى السَّاجُورِ أَلْفَافًا
وقوله (في القصيدة ٢٤٣) :

تَقَادَفُ بِي بِلَادٍ عَنْ بِلَادِي كَأَنِّي بَيْنَهَا خَبِرْتُ شُرُودُ

• • •

هذه لمحات سريعةٌ لبعض المعاني التي جسَّمتها لنا البحري ، واستطاع أن
يصوِّرها لنا مَبْجُلُوَّةً في الديباجة المشرقة التي وقف عندها الأقدمون معجبين
أو ناقدين ، ولم يتعمَّقوا الصور ليسبروا الانفعالات النفسية التي كان البحري
ينفضها على الورق بين لفظ عذب وصياغة متأنقة .

وفي الحق أن الرجل كان فنَّانًا ماهرًا استطاع بوترٍ موسيقيٍّ وريشة رسَّام
أن يترك لنا لوحاتٍ رائعة الجمال : فلقد كان اللفظ مطواعًا له يؤلف بين

حروفه في البيت بما يعبر عن الجو الذي يريد تصويره . وهذا مشكل من قوله
(في القصيدة ٣٨٧) :

يُسَوِّقُونَ أَسْطُولًا ، كَانَ سَنِينَهُ سَحَابٌ صَيْفٍ مِنْ جَهَامٍ وَمُمْطِرٍ
كَأَنَّ ضَجِيجَ الْبَحْرِ بَيْنَ رَمَاحِهِمْ إِذَا اخْتَلَفَتْ تَرْجِيعُ عَوْدٍ مُجَرَّجٍ
تُقَارِبُ مِنْ زَحْفَتِهِمْ ، فَكَأَنَّمَا تَوَلَّفُ مِنْ أَعْدَائِهِ وَخَيْسٍ مُنْفَرٍ
فَمَا رِمَتْ حَتَّى أَجَلَّتِ الْحَرْبُ عَنْ طُلَى مُقْطَعَةٍ فِيهِمْ ، وَهَامٍ مُطِيرٍ

فحرف السين قد احتل مكانه في البيت الأول ليعطينا صورة ناطقة لسير
الأسطول ، ثم يتقدم حرفا الجيم والحاء في البيت الثاني وقد تراقص بينهما حرف الراء
ليعطوا جميعاً صورة الضجيج والحركة ، ثم حرفا القاف والفاء في البيت الثالث
ليعطيا صورة الإقدام والاندفاع . ويختم البيت الرابع بحرفي الطاء والميم ليقدا
صورة لتطير الأشلاء بعد هذا التطاحن ، وللدّم المهرق ، ثم للموت المخيم على
ميدان المعركة . وفي خلال ذلك يعمل حرف الراء عمله في تصوير اضطراب الأمواج
والصراع المرير .

ويمثل سَيْرَ الْمُطِيرِ في الفياض بحروف السين والطاء والفاء ، ثم يمثل رمال
هذه الفياض ولُغُوبَ الْمُطِيرِ وكَلَالَتِهَا في هذه الرحلة بحرف اللام ، وذلك في
جُتْرَسٍ متناسق بين هبوط وصعود . ويختار لهذا كله البحر الطويل لِيَمَّ التَّنَاسُقَ
بين أجزاء الصورة ، وذلك في قوله (في القصيدة ٦٣٦) :

قِفِ الْعَيْسَ قَدْ أَدْنَى خُطَاهَا كَلَالُهَا وَسَلِّ دَارَ سُعْدِي إِنْ شَفَاكَ سُؤَالُهَا
وَمَا أَعْرِفُ الْأَطْلَالَ مِنْ بَطْنٍ تُوَضِّحُ لِطُولِ تَعَقُّبِهَا ، وَلَكِنْ إِخَالُهَا
ونستمع إليه يمثل بحرف السين حالته النفسية والسأم واليأس اللذين كانا قد
استوليا عليه ، والأسى الملازم له ، ثم الرغبة في التأسّي عما أصابه من أحداث ،
والسمو على هذه الأحداث في قوله في إيوان كِسْرَى ملك الفُرس (القصيدة ٤٧٠) :

صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يُدْنُسُ نَفْسِي وَتَرَفَعْتُ عَنْ جَدَا كُلِّ جَبِيسٍ
وَتَمَاسَكْتُ حِينَ زَغَزَغَنِي الدُّهُ رُ أَلْتِمَاسًا مِنْهُ لِنَفْسِي وَنَكْسِي

وقوله :

أَنْسَلَى عَنْ الْحُظُوظِ وَآسَى لِمَحَلٍّ مِنْ آلِ سَامَانَ دَرَسِ

وكأنه وجد لهذه السين محلاً ثابتاً في اسم صاحب الإيوان وفي اسم شعبه «
فتمّ الانسجامُ بين أجزاء الصورة . وبهذا الجرس الذي بزّ به البحرى غيره
من الشعراء استطاع أن يعطى معانيه قوة مستمدة من أعماق نفسه ، وأن يصل بها
إلى أعماق نفوس الآخرين . وصدق حين قال (في القصيدة ٣٧٩) :

عَلَى نَحْتِ الْقَوَائِي مِنْ مَقَاطِعِهَا وَمَا عَلَى لَهُمْ أَنْ تَفْهَمَ الْبَقَرُ

فحرف القاف هنا لم يجئ عبثاً أو اعتباطاً « وإنما جاء ليمثل الدور الذي
يقوم به البحرى في قوة واقتدار في قطع الصخور - شأن الفنان المقتدر - ليخرج
منها في دقة ورقة تماثيله الخالدة .

ومقدرة البحرى في هذا الباب عجيبة تدل على علم بعيد الغور بمعاني
الحروف ، وفنية بارعة في التأليف بينها ، فهو يجمع بين الأحرف المتقاربة
حتى لا تحس الأذن تناقضاً إذ يجعل من وشائج القربى بين هذه الحروف أساساً
يرتكز عليها فنه كما فعل في السين والشين والصاد والضاد حين أظهرها مجمعة
متألفة ، ثم أخذ من الجرس القريب بين السين والشين والضاد ، وبين الضاد والذال ،
وسيلة لإظهار هذين الحرفين في فترات متباعدة وسط هذا الموكب الموسيقي البديع في
قوله (القصيدة ٤٨٢) :

تَرَكَ السَّوَادَ لِلْأَبْيَهِ وَبَيْضًا وَنَضًا مِنَ السُّتَيْنِ عَنْهُ مَا نَضًا
وَشَاهُ أَغْيَدُ فِي تَصَرُّفٍ لِحُظِهِ مَرَضٌ أَعْلَى بِهِ الْقُلُوبَ وَأَمْرَضًا
وَكَأَنَّهُ أَلْفَى الصَّبَا وَجَدِيدُهُ دَيْنًا دَنَا مِيقَاتُهُ أَنْ يُقْتَضَى
أَسْيَانُ أَثَرِي مِنْ جَوَى وَصَبَابَةٍ وَأَسَافٍ مِنْ وَصْلِ الْحِسَانِ وَأَنْفَضَا

وتبدو هنا هذه المقدرة في بساطة ورقة في قوله (القصيدة ٨٤٦) :

أَرَقَّ الْعَيْنَ أَنَّ قُرَّةَ عَيْنِي فَرَفَّتْ بَيْنَهُ اللَّيَالِي وَبَيْنِي

فثَلَّ الأرقى بحروف هذه اللفظة موزعةً توزيعاً عجيباً في ألفاظ البيت كله .
ثم ترك لحرف النون . وهو متردد بين الألفاظ تمثيل النوم المشرّد . ثم تمثيل البين
دون أن ترد لفظة « البين » بمعناها الأصل .
وأمثلة ذلك من تصوير المعاني بالحروف كثيرة في شعر البحري أردت أن
أجتري بالقليل منها هنا .

• • •

أما معانيه في الوصف . إن اشترك فيها مع شعراء معاصرين له أو سابقين
فهى تمتاز بحسن السبك . وتتابع أجزاء الصورة ، وبخاصة في وصف مظاهر
الطبيعة . ومن يستمع إلى شعره في هذا الباب يحس اقتنان الشاعر بهذه المظاهر .
وشعوره بأن بينه وبين الربيع وشائج قُرْبَى : فهذا بالألوان يرصف الزهر ، وهذا
بالألحان يرصف الشعر : في عذوبة ورقّة : وإحكام ودقّة .

الديوان

لم يظفر ديوان البحترى - على قوة شاعريته - بما ظفر به ديوان أبي تمام عند الأقدمين من كثرة الجمع والشرح والتعليق . وقد ظل شعره غير مرتَّب حتى جاء أبو بكر محمد بن يحيى الصُّبُل (المتوفى سنة ٥٣٣٥هـ) فجمعه في مجلدين - كما قال ياقوت الحموي في « معجم الأدباء » (١٩ : ٢٥١) - ورتَّبه على حروف المعجم . وجمعه على بن حمزة الأصفهاني (أبو الحسن على بن حمزة ابن عمارة بن حمزة بن يسار بن عثمان ، المتوفى سنة ٥٣٧٥هـ) ورتَّبه على الأنواع كما صنع بديوان أبي تمام .

وعلى الرغم من أن « ياقوت » قد ذكر في ترجمته للبحترى أنه اطلع على شرح لديوان البحترى ؛ فإننا لم نجد فيما بقى لنا من التراث العربى شرحاً كاملاً أو تعليقياً على كل شعره سوى كتاب « عبث الوليد » الذى وضعه أبو العلاء المعري (المتوفى سنة ٤٤٩هـ) وأثبت فيه ما أصلحه من الغلط الذى وجد في النسخة التى قرئت عليه وكان مكتوباً في آخرها أنها بخط ظفر بن عبد الله العيجلي ؛ وقال « ولم يمكن إثبات جميع الأغلاط لأن أكثرها غير مُخيل » .

على أن لكتاب « عبث الوليد » - وإن لم يكن تعليقياً كاملاً أو شرحاً بمعنى هذه الكلمة - الفضل في توجيهنا نحو البحث عن شعر البحترى الذى لم ينشر في طبعات ديوانه .

فهذا ياقوت يذكر في « معجم الأدباء » (٨ : ٨٥) حين يترجم لأبي القاسم الحسن بن بيشر الآمدي (المتوفى سنة ٥٣٧١هـ) من بين مؤلفات الآمدي بعد ذكر كتابه « الموازنة بين أبي تمام والبحترى » أن له كتاباً عنوانه « معاني شعر البحترى » ، وكذلك يذكره السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (المتوفى سنة ٩١١هـ) في « بغية الوعاة » (٢١٨) .

وحين يترجم ياقوت لأبي جعفر محمد بن إسحاق بن عليّ البَحَّاثي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ بغَزَنَة (من مدن أفغانستان الآن) يقول (معجم الأدباء ١٨ : ٢٢) :
 « ولم أرَ من تصانيف البَحَّاثي هذا شيئاً إلاَّ » شرح ديوان البَحْتَرى « : ولَعَمْرِي إن هذا شيء ابتكره . فإني ما رأيت هذا الديوان مشروحاً . ولا تعرّض له أحد من أهل العلم . ولا سمعت أحداً قال : إني رأيت ديوان أبي عبادة البَحْتَرى مشروحاً . وتأمّلته فرأيت أنه قد ملئ علماً . وحُشِيَ فهماً ؛ وذلك أن شروح الدواوين المعروفة كأبي تمام والمنتبي وغيرهما تساعدت القرائح عليها وترافدت الهمم إليها : وما أرى له فيما اعتمده من شرح هذا الكتاب عمدةً إلاَّ أن يكون كتاب ” عبث الوليد “ للعمري وكتاب ” الموازنة “ للآمدي لا غير . »

وفي ترجمة أبي حكيم عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله بن حكيم الخبيري ، نسبة إلى « الخبَر » من قرى شيراز بفارس ، والمتوفى ببغداد سنة ٤٧٦ هـ . قال ياقوت (معجم الأدباء ١٢ : ٤٧) والسيوطي (بغية الوعاة ٢٧٦) إن الخبيريّ شرح الحماسة وديوان البَحْتَرى وعدة دواوين أخرى . وجاء في تلخيص ابن مكنوم (٨٨) وهو يترجم للخبيريّ أنه شرح الحماسة ودواوين البَحْتَرى والمنتبي والرضي الموسويّ .

[وفي ترجمة عليّ بن زيد البيهقيّ المتوفى سنة ٥٦٥ هـ ذكر ياقوت أن له كتاب « شرح البَحْتَرى وأبي تمام » .]

ولكننا لم نظفر بشيء من شروح الآمديّ والبَحَّاثي والخبيريّ [البيهقيّ] .
 ويذكر بروكلمان في كتابه « تاريخ الأدب العربي » (١ : ٥١) الترجمة العربية طبع دار المعارف) أنه يوجد شرح قصائد للبَحْتَرى وأبي تمام في مكتبة عاشر أفندي برقم ٩٨٥ .

طبقات الديوان السابقة

أما طبقات الديوان السابقة لطبعتنا هذه فهي ثلاث :

• الأولى : طبعت بمطبعة الجوائب بالآستانة سنة ١٣٠٠ هـ (١٨٨٢ م) وهي في جزأين : الأول وعدد صفحاته ٢٥٩ ؛ والثاني وعدد صفحاته ٢٦٠ . وقد بلغ عدد قصائد هذه الطبعة ٥٦٠ قصيدة ومقطوعة تضم ١١٩٨٩ بيتاً .

وقد طبعت على المخطوطة المحفوظة بمكتبة كوبريللي بالآستانة برقم ١٢٥٢ وهي بخط علي بن عبيد الله الشيرازي كتبها بمدينة تبريز سنة ٨٤٢٤ هـ . وقد وصفناها عند الكلام على مخطوطات الديوان ورمزنا لها بحرف (ا) .

وهذه الطبعة غير مضبوطة بالشكل ولم تظهر بعناية في التصحيح فهي محشوة بالأخطاء والتصحييف والتحريف على الرغم من أن المخطوطة التي نقلت عنها مضبوطة تمام الضبط . دقيقة خالية إلا في النادر من التصحييف والتحريف . ولم ترتب قصائدها على حروف المعجم . ولكنها - كالمخطوطة التي نقلت عنها - مرتبة بأسماء الأشخاص الذين وجهت إليهم القصائد ؛ كما سنبين ذلك عند الكلام على المخطوطة التي طبعت عليها .

• الثانية : طبعت في بيروت في المطبعة الأدبية سنة ١٩١١ ، وهي مضبوطة بالشكل الكامل . وعلق حواشيها الشيخ رشيد عطية وهي في جزأين عدد صفحاتهما ٧٩٩ منقولة عن طبعة الجوائب .

وقد ذيلها شارحها بكلمة ردّ فيها على ما جاء في مجلتي (المقتبس) و (المشرق) حين ظهر الجزء الأول من طبعته . فإن مجلة (المقتبس) أخذت عليه حذفه طائفة من أبيات الديوان وكان واجب الأمانة يقضي بإبقائها ؛ أما مجلة (المشرق) ؛ فقد ودّت لو أن الشرح تناول معاني الأبيات برمّتها ولم ينحصر في الألفاظ فقط ؛ وأن تجعل للديوان فهرس للأعلام وغيرها ؛ وأن يبسط قبل كل قصيدة السبب الذي دعا الناظم إلى نظمها . فقال الشارح ردّاً على هذا إنه

يعجب من أن تعتمد مجلة (المقتبس) إلى هذا المآخذ في حين أن المحذوف من الأبيات إنما هو مُنافٍ للأدب في لفظه ومعناه .

وقال عن رغبة مجلة (المشرق) إنه لم يقتصر في الشرح على الألفاظ : بل تعدّاها في مواضع كثيرة إلى شرح الأبيات وإيضاح الزكّات النحوية وما دعا إليه السياق من الفوائد اللغوية ، واعتذر بأنه لو توسّع في الشرح وأعدّ الفهارس المطلوبة لجاء الكتاب مضاعفًا في الحجم والثلث .

وبلغ عدد قصائد هذه الطبعة ٥٤٠ قصيدة ومقطوعة تضم ١١٥٨٥ بيتًا .
وهي كطبعة الجوائب في ترتيب قصائدها .

وهذه الطبعة لم تسلم من أخطاء كثيرة في الضبط ، وبُعْدٍ في الشرح عن المعنى الذي رمى إليه الشاعر ، وحذفٍ للأبيات التي يغمض معناها . ولم نتصدّ إلى التنديد بأخطائها تاركين للقارئ بالمراجعة بين شرحنا وذلك الشرح أن يتبين هذا البعد ، شاكرين للشارح الفاضل جهده الذي بذله . وحسبنا أن نكون قد قمنا عنه ببعض العبء في تصحيح ما أخطأ فيه وتوضيح ما غمض عليه . ولكنتا نجد لزامًا علينا أن نشير إلى طُرْفٍ قلائل من هذه المآخذ لنعطى القارئ صورة سريعة تبصره ببُعْد تلك الطبعة في المعنى عما قصده الشاعر :

من ذلك تفسير « صامتى » في البيت ١٦ من القصيدة ٢ بأن « الصامتى صاحب فضة وذهب » (طبعة بيروت صفحة ٧١٣) ، والصحيح أنه نسبة إلى الصامت وهو من بنى عمرو بن العوث بن طيئ .

والبحتري يردد كثيراً لفظي الصامت والصامتى حين يمدح أبا سعيد الثغرى الطائى وآل حميد الطائيين لأنهم يرجعون بالنسب إلى الصامت .

قول الشاعر « كأن لم يترّوا سيمًا الطويلَ وجمعه » (البيت ٢٤ من القصيدة ٣٩ صفحة ١٢٥ في طبعتنا) جاء مضبوطًا في طبعة بيروت صفحة ٥٢٢ « سيمًا الطويل » وفُسِّرَ بأن « سيمًا : شارة ونخيلة وعلامة » في حين أن سيمًا الطويل اسم قائد حاربه ابن طولون « وللبحتري فيه هجو ومدح .
جاءت لفظة « العَمَقُ » الواردة في البيت ٣٥ من القصيدة ٢٢٩ وهي كُورٌ

بنواحي حلب وكانت أولاً من نواحي أنطاكية (انظر صفحة ٥٤٨ من طبعتنا)
مضبوطة في طبعة بيروت صفحة ٤٦١ « العُسق » ولم يشرحها ناشر تلك الطبعة .
شرح قول الشاعر في البيت ١٨ من القصيدة ٥٠٦ : « إذا اعترض الخابور
دون جياذنا » بأن « الخابور شجر » (طبعة بيروت ٣٠٥) والحقيقة أنه هنا يشير
إلى نهر الخابور .

شرح قول البحرى ١٠ من القصيدة ٤٩٦ « بَطْرِبُلْ أَعْلَاجُهُ وَأَنَا بَطْلُهُ »
فقال « الأعلاج : الحمير . والأنابط من الخيل : ما يكون تحت آباطها وبطنها
بياض » (طبعة بيروت ١٨٠) . والصحيح أن الأعلاج جمع العلوج لفظ يطلق
على الأعاجم ، والأنابط هم النبط قوم أيضاً .

ورد البيت ٣ من القصيدة ٧٥٢ (صفحة ٣١٦ بيروت) هكذا :
نسبتُ موقف الجيـسار وشخصاً نا كشخص أرى الجمار وترمى
وشرحه قائلاً : « نا : لعله يريد كنا » . والصحيح « وشخصانا » ويريد أنهما
كانا ملتصقين فكأنهما شخص واحد .
وغير ذلك كثير ، لا نريد حصره ولا تتبعه . ولكننا نريد كما ذكرنا توجيه
لمحة خاطفة .

■ الثالثة : طبعت في القاهرة بمطبعة هندية بالموسكى سنة ١٣٢٩هـ (١٩١١م) .
وجاء في صفحتها الأولى أنها منقولة عن نسخة مشكولة قديمة كتبت في سنة ٨٤٢٤هـ
بخط على بن عبد الله الشيرازى ، أى أنها منقولة عن طبعة الجوائب . ولكنها
تختلف عن تلك الطبعة من حيث ترتيب القصائد ، فقد جاء كذلك في صفحتها
الأولى أنها « مرتبة على حروف الهجاء » ، وأنها « قُوبِلَتْ على نسخة خطية
بالكتبخانة الخديوية » ، ولم يُذكر رقم هذه المخطوطة التى قُوبِلَتْ عليها . وذكر
على هذه الصفحة أن الذى وقف على طبعتها وضبطها وتصحيحها المرحوم
الشيخ عبد الرحمن البرقوى .

ومن المقدمة التى أُلْحِقَتْ بهذه الطبعة يتبيّن لنا أنها روجعت على المخطوطة
رقم ٢٧ م المحفوظة بدار الكتب المصرية التى رمزنا لها بحرف « ي » (راجع

وصفنا لها فيما بعد) وهي مخطوطة مشحونة بالتحريف والتصحيح وفي أولها مقدمة
تتضمن على أخبار البحري منقولة مما جمعه الصولي من أخباره مع أخبار أخرى
واردة في بعض الكتب التي ترجمت للشاعر ، وهي الملحق بأول تلك الطبعة .
ولما رجعنا إلى هذه المخطوطة وجدنا أن تلك الطبعة لم تستفد بكل ما في هذه
المخطوطة من زيادات ، فقد أضافت شيئاً ، وتركت شيئاً .

على أنه مما يؤسف له أن هذه الطبعة جاءت مشوهة أشد التشويه ، محرقة أفصح
التحريف ؛ وليست مضبوطة ولا مذبذبة بأقل تفسير أو شرح . وقد نقصت منها
بعض قصائد موجودة في الطبعتين السابقتين ، ولكنها زادت عليهما بعض قصائد
أخرى .

ولقد بلغ عدد قصائد هذه الطبعة ٦١٠ قصيدة ومقطوعة تضم ١٢٣٠٣
أبيات .

طبعتنا

أمّا طبعتنا هذه فقد راجعناها على خمس عشرة مخطوطة صورناها من باريس والآستانة وهال (ليبزج) وميونخ بألمانيا والمدينة المنورة والقاهرة . وهذه المخطوطات يختلف بعضها عن بعض في الرواية والدقة في تلك الرواية . كما يختلف بعضها عن بعض في النقص أو الزيادة في عدد القصائد وعدد الأبيات ، بل في ترتيب الأبيات كذلك ، وأحياناً في مناسبة القصيدة . . .

وقد اخترنا من هذه المخطوطات واحدة جعلناها أمّاً . وأخذنا بترتيبها . وهذه النسخة التي اخترناها هي المخطوطة المحفوظة بالمكتبة الأهلية في باريس برقم ٣٠٨٦ ، وهي أقدم مخطوطة وقعت لنا من الطبقة رُتبت فيها القصائد على حروف المعجم ؛ إذ يرجع تاريخها إلى سنة ٦١٠ هـ .

وهذه المخطوطة على ما فيها من ميزة الزيادة في عدد القصائد ناقصة ، فقد وجدنا في المخطوطات الأخرى قصائد لم ترد في هذه المخطوطة التي اتخذناها أمّاً ، فألحقنا في نهاية كل قافية ما وجدناه في كل نسخة حسب أقدميتها .

* * *

وقد بلغ عدد قصائد طبعتنا ٩٣٣ قصيدة ومقطوعة تضم ١٥٩٥٠ بيتاً ، أي بزيادة ٣٧٢ قصيدة ومقطوعة عن طبعة الجوائب ، و ٣٩٣ عن طبعة بيروت ، و ٣٢٣ عن طبعة مصر .

أما من حيث عدد الأبيات فإن الزيادة في طبعتنا بلغت كالاتي : ٣٩٦١ عن طبعة الآستانة ، و ٤٣٦٥ عن طبعة بيروت ، و ٣٦٤٧ عن طبعة مصر .

• • •

هذا غير اللّحق الذي ضمّ طائفة كبيرة من الأبيات نُسبت للبحر في عدد من كتب الأدب ، ولكننا لم نجد لها في مخطوطات الديوان ، فأثبتناها وفاء لواجب الأمانة العلمية ، وإن كنّا نشكُّ في نسبة الكثير منها لشاعرنا .

وَتَمَتَّ لَحَقَّ* أَخْرِضَمُ الْقَصِيدَتَيْنِ اللَّتَيْنِ هَجَا بِهِمَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرِ أَبِي عِبَادَةَ الْبَحْرِيِّ . وقد أشرنا إلى هاتين القصيدتين وقصتهما في صفحة ٢٠٧ .

° * °

وقد ختمنا الديوان بعدد من الفهارس الفنية التي تكشف عن ثروة هذا الشاعر اللغوية والعلمية والتاريخية ، والتي تفتح للقارئ مغاليق الديوان ، وتعينه على تعرف معالم هذه الشاعرية الفذة .

° ° °

وكان منهجنا في تحقيق هذا الديوان منحصراً فيما يلي :

١ - مراجعة نصوص المخطوطات جميعها في كل بيت ومقابلتها ببعضها ببعض ، ثم إثبات ما تنفق عليه أغلبية النسخ إذا كان نص المخطوطة الأم « ب » بعيداً عن طبع البحري .

٢ - إثبات ما فات النسخة الأم من أبيات في مواضعها .

٣ - الإشارة أيضاً إلى الاختلاف في روايات النسخ .

٤ - تركنا بعض الأبيات التي افردت بها بعض النسخ وتعذر علينا تقويمها أو تبين وجهها الصحيح على حالها . معقبين في الحواشي على ما نرى وجه الصواب فيه حتى لا نتحكم في وجه قد يكون بعيداً عن تقديرنا .

٥ - أضفنا في نهاية كل قافية ما ورد من قصائد أو مقطوعات في النسخ الأخرى مما لم يرد في النسخة الأم ، وراعينا في إثبات ذلك أقدمية كل مخطوطة « مشيرين إليها برمزها » .

ثم أتبّعنا اختلاف الروايات في الحواشي بشرح الكلمات أو توضيح المعنى إذا وجدنا ما يدعو إلى ذلك « ثم شرح الحوادث التاريخية الذي يشير إليه البيت ، والتعريف بالأعلام والأسم والقبائل والعقائد والمذاهب والميلّ والتّحليل وما يتصل بها من مراسيم وأزياء « والأعياد والأيام المشهورة والوقائع والحروب وما يتصل بها من سلاح وأدوات « والمواضع من بلدان وأنهار وجبال وآثار وما يشبه ذلك « ثم

ما يتصل بالإنسان في حياته الاجتماعية من وظائفه ومجالات عمله وأنسه ولهوه وشرباه وزينته ولباسه ، وما يصيبه من آفات أو علل ، ثم كل ما يتصل بالظواهر الطبيعية في الأرض والسماء ، والحيوان والطير والزهر والمعادن والأحجار ، وما يتعلق بهذا كله . وأشرنا إلى ما ضمّنته البحترى في شعره من آيات قرآنية أو أحاديث نبوية أو أبيات شعر أو حِكَم وأمثال .

ثم أتبعنا ذلك جميعه بسرد تاريخي لنصوص أبيات البحترى في كتب الأدب المختلفة حسب أقدمية كل كتاب ليقوم أمام القارئ موكب تاريخي ثابته وروايته على مرّ العصور ؛ فإذا اتفق النص في كتب الأدب مع رواية البيت اكتفينا بذكر المصدر وحده والصفحة التي جاء فيها . أما إذا اختلف النص ذكرنا الرواية التي ورد بها في ذلك المصدر ؛ كما أتبعنا الإشارة إلى ورود النص في تلك الكتب إذا جاء فيها غير منسوب له أو منسوباً لغيره . وقد بذلنا ما استطعنا من جهد في مراجعة العدد الضخم من كتب الأدب والتاريخ التي لم نفهرس لنستخرج منه ما ورد من شعر البحترى مقلّبين صفحاتها صفحة صفحة لنلّم قدر الإمكان بما فيها من هذا الشعر منسوباً أو غير منسوب . ولا أريد أن أكون مغالاً فأقول إنني استوفيت هذا الباب تمام الاستيفاء . فقد يكون هناك بعض أبيات وردت في بعض الكتب فأنى إثباتها أو فأنى الاطلاع عليها في بعض كتب ما زالت مخطوطة .

• • •

وقد قدمنا حواشي القصائد بذكر موضع كل قصيدة في طبعات الديوان الثلاث وبيان ما في كل منها من نقص في عدد الأبيات ، ثم نعقبه بذكر ورود القصيدة في أيّ من المخطوطات التي رجعنا إليها ، ثم الترجمة للشخصية التي وجهت إليها القصيدة .

ثم نثبت المحاولة الشاقة التي أضمتنا في تحقيق هذا الديوان ، وهي محاولة التأريخ للقصائد ، فقد استقرّينا قصائد الديوان جميعها من واقع الحوادث التي يشير إليها الشاعر ، وقد يتفق أن يذكر حوادث قديمة اشترك فيها الممدوح في حين أن القصيدة لا ترجع إلى تاريخ تلك الحوادث ، وإنما استطرد الشاعر في الحديث

عنها ، وهو يذكر بطولة ممدوحه فنحاول التعمق في حياة الممدوح وصلته الشاعر به لنصل إلى التاريخ الحقيقي لنظم القصيدة . وفي أحيان أخرى كنا نجعل ألفاظ الشاعر التي يستعملها ويتردد ورودها على لسانه وقلمه وتراود خاطره في حقبة من الزمن أساساً فتركز عليه في تحقيق تاريخ هذه القصائد .

أما القصائد الغزلية فقد أرجعناها إلى مرحلة الصبا^(١)، وهي الحقبة التي جعلنا نهايتها سنة ٢٢٠ هـ أي حين كان الشاعر في السادسة عشرة من عمره على أساس أن ميلاده كان في عام ٢٠٤ هـ . حيث اختلف في تاريخ ولادته . فقد جاء في « معجم البلدان » في مادة « حُرْدُفْنَة »^(٢) أنها من قُرى منبج من أرض الشام ، بها كان مولد أبي عبادة الوليد بن عبّيد البحرى الشاعر في سنة ٢٠٠ في أول أيام المأمون وهو بخراسان . وقال ياقوت : « ذكر ذلك أبو غالب همام بن الفضل ابن المذهب المعري في تاريخ له » . ثم قال : « وقال غير ابن المذهب : ولد البحرى في سنة ٢٠٥ ، ومات سنة ٢٨٤ » . ومنهم من ذكر أنه ولد سنة ٢٠٤ وقد أخذنا بهذا ، ومنهم من قال سنة ٢٠٥ ومنهم من قال سنة ٢٠٦ . كما اختلف في وفاته فقيل سنة ٢٨٣ ، وقيل سنة ٢٨٤ ، وقد أخذنا بهذا . وقيل سنة ٢٨٥ . وقد بلغ عدد القصائد التي لم نستطع تحديد تاريخ قاطع لها حوالي ٥٠ قصيدة ومقطوعة من ٩٣٣ قصيدة ومقطوعة هي مجموع شعر الديوان .

(١) راعينا في هذا التحديد ضعف هذه القصائد وسذاجتها .

(٢) ذكرها ابن خلكان في ترجمة البحرى فقال « زردفنة » ثم ضبطها بالمبارة فقال : « بفتح الزاى » وسكون الراء « وفتح الدال المهملة وسكون الفاء » وفتح النون « وبمدها هاء ساكنة » وهي قرية من قرى منبج بالقرب منها .

مخطوطات الديوان

لديوان البحترى عدد ضخم من المخطوطات عرفنا منها أربعين مخطوطة موزعة في أنحاء العالم ، تتفاوت استيفاء لشعره أو نقصاً « كما تتفاوت في أعمارها بين القديم والحديث .

وقد ذكر المستشرق الكبير الدكتور كارل بروكلمان في كتابه « تاريخ الأدب العربى » هذه النسخ التى نذكر أماكن وجودها وأرقامها كما يلى :

بريل	٢١٦	يكى جامع	٩٤٦	مشهد	٢٧
ليدن	٦١١	فينّا	٤٥٠	لاله لى	١٧٣٣
كوبربلى	١٢٥٢	باريس	٣٠٨٦	عاشر أفندى	٨١٩
ميونيخ	٥٠٨	حميدية	١٠٨٤	عمومية	٥٦٩٤
بترسبورغ	٢٦٧		١٢٠٧		

وقد تفضل الأخ الأستاذ محمد رشاد عبد المطلب حين كتبُ إليه وهو فى تركيا عام ١٩٤٩ طالباً إليه أن يدرس لى مخطوطات الديوان الموجودة هناك مما ذكره بروكلمان ، فوصفها لى قائلاً إن الموجود منها - ما عدا نسخة كوبربلى ١٢٥٢ - لا يغنى بل لا يفيد فى نشر الديوان « وهاك وصف ما أطلع عليه ؛ متهزأ هذه المناسبة لأسجل فضله ومعاونته لى فى تيسير الحصول على كثير من المراجع التى استندت فى التحقيق عليها .

يكى جامع ٩٤٦ : نسخة من الديوان خطها نسخ حنن فى ٢٢٤ ورقة مسطّرتها ٢٥ ومقاسها ٢٨,٥×٢٠ سم ، كتبت فى القرن الحادى عشر ، آخرها قصيدة بمدح بها محمد بن على التمسّى ويصف الفرس والسيّف (القصيدة ٦٧٤) التى مطلعها :

أهلاً بذكُمُ الْخِيَالِ الْمُقْبِلِ فَعَلَ الَّذِى نَهَاهُ أَمْ لَمْ يَفْعَلْ

لاله لى ١٧٣٣ : نسخة من الديوان فى ٢٥٥ ورقة ، مسطّرتها ٢٥ ، كتبت سنة ١٠٣٩ هـ . وهى رديئة وبها آثار رطوبة .

حميدية ١٠٨٤ : عادية : كتبت فى القرن الحادى عشر . أما رقم ١٢٠٧ فليست الديوان ولكنها نسخة من الموازنة كتبت سنة ١٠٨٤ هـ .

عمومية ٥٦٩٤ : هى منتخب من ديوان البحرى فى ٢٢٩ ورقة مسطّرتها ٢٥ وخطها ردىء ومملوءة بالأغلاط : كتبت سنة ١٢٦٠ هـ عن نسخة المصنف « أى المنتخب » وفى نهايتها ما يلى :

« هذا آخر ديوان البحرى عفا الله عنه . قال محررها محمد أمين العمرى ابن خير الله الخطيب العمرى الموصلى : وجدت ديوان البحرى كاملاً وهو خمسة عشر ألفاً من الأبيات وثلاثمئة وستين وأكثر ، هجواً ومدحاً ؛ فانتقيت منه هذه الكراريس « زها » على « إحدى عشر » ألف بيت . وأسقطت غالب الهجاء وبعض المدايح الموحشة الألفاظ المعقدة العبارة . على أنه كله « غادت » الشجر وبكر النظم . لكن الشئ « لا » يخلوا » من الجيد والردىء إلا ما ندر والحمد لله كماله وتمام اختصاره وختام رسمه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين . كان الفراغ منه نهار الثلاثاء ثالث وعشرين من صفر الخير المبارك فى سنة ألف ومائة وخمسة وسبعين [تاريخ التأليف] « وكان الفراغ من نقله من خط المؤلف رحمه الله فى عشر نخلت من شهر رمضان الشريف عام ١٢٦٠ » .

عاشر أفندى ٨١٩ : مختارات من ديوان البحرى . لم يكتب اسم الذى اختارها ، وهى بخط نسخ معتاد « وقد حصلنا على صورة منها ، ونصنفها مع الكلام على المخطوطات التى جمعناها .

• • •

وكتب إلى من العراق الأستاذ كوركيس عواد رسالة فى سنة ١٩٥٢ يقول لى فيها إنه عثر على أربع نسخ من الديوان فى بغداد :

ثلاث فى خزنة الأوقاف العامة أرقامها : ٤٨٧ وتاريخها ١١٨٤ هـ . ٤٩٢

وتاريخها ١١٦٠ هـ ، ٥٧٢٩ هـ وهي قطعة من الديوان غير مؤرخة .

والرابعة في خزانة الأستاذ يعقوب سركيس ، وهي قطعة من الديوان ، ذكر فيها أنها كتبت سنة ٧٤٢ هـ . ويقول الأستاذ عواد إن هذا ليس بصحيح فإن هذا التاريخ مزور ، وقد مُحِىَ منها اسم « البحترى » ووضع بدلاً منه « الحميرى » .

وذكر الأستاذ عواد أنه عثر كذلك على ثلاث نسخ في مدينة الموصل ، وهي :
١ - نسخة في المدرسة الأحمدية ، ذكرها الدكتور داود الجلي في كتابه « مخطوطات الموصل » (ص ٢٣ رقم ٤) ، فقال : « ديوان البحترى جمع أبى الحسين بن الحاجب البغدادى » .

٢ - نسخة في جامع الباشا ، ذكرها الجلي (ص ٤٨ رقم ١٨) ولم يزد على قوله « ديوان البحترى » .

٣ - نسخة في المدرسة الحسينية ، ذكرها الجلي (ص ١٢٣ رقم ٢٠٧) ، وعليها العبارة المكتوبة على نسخة (عمومية ٥٦٩٤) التى وصفناها من قبل . فهى بخط محمد أمين العمرى ، أى أنها صورة أخرى لتلك ، ومنقولة عن النسخة ذاتها المكتوبة سنة ١١٧٥ هـ .

ثم ذكر الأستاذ عواد النسخ الأخرى في غير العراق فقال :

(أ) نسخة في حلب لدى ورثة الحاج قنّور الحلبي ، ذكرها القس سباط في ذيل فهرسته .

(ب) نسخة في خزانة الفاتيكان ، ذكرها دلاًّ فَيِدا في فهرس المخطوطات في الفاتيكان برقم ١٣٧١ وهي قطعة صغيرة من الديوان ضمن مجموع خطيّ « والقطعة تبدأ بالورقة ١ وتنتهى بالورقة ٢٧ » .

(ج) في الآستانة أربع نسخ وهي :

نسختان في خزانة كوبريلي برقم ١٢٥٢ و ١٢٥٣ [وقد حصلنا على صورة الأولى وسنصفها] .

نسخة في خزانة يكي جامع برقم ٩٤٦ [مرّ ذكرها ووصفها] .

نسخة في خزانة حميدية برقم ١٠٨٤ [مر ذكرها ووصفها] ولم يذكر لنا الأستاذ عواد النسخة الثانية التي أشار إليها بروكلمان [.

(د) في باريس نسختان هما :

نسخة في المكتبة الأهلية برقمها ٣٠٨٦ [هي التي صورناها واتخذناها أمماً لطبعتنا] .

نسخة أخرى في هذه المكتبة رقمها ٣٣٠٠ وهي منتخبات من أشعار المتنبي والبحري ، قوامها ١٤٠ ورقة في كل صفحة ١٧ سطراً ، وهي من مخطوطات المائة الثامنة للهجرة .

أما باقي النسخ فهي موزعة كالاتي :

١ - في مكتبة غوطا نسخة رقمها ٢٦ .

٢ - في مكتبة ميونخ نسخة رقمها ٥٠٨ [لدينا صورة منها وسنصفها] .

٣ - نسخة مكتبة فيينا ورقمها ٤٥٠ [ذكر الأستاذ مرجليوث في « دائرة المعارف الإسلامية » أنها مشابهة لنسخة كوبريلي] .

٤ - نسخة مكتبة بطرسبورغ رقم M ٢٦٧ .

٥ - وفي مكتبة برلين قطعة من الديوان رقمها ٧٥٤٠ (فهرست آلورد Ahlwardt [جاءت في كتاب « تاريخ الأدب العربي » لبروكلمان (١ : ٥١ الترجمة العربية) أنها مختارات من الديوان] .

وفي مكتبة ليدن ثلاث نسخ وهي :

نسخة رقم ٦١١ [جاء في كتاب « تاريخ الأدب العربي » أنها أول] .

نسخة رقم ٦١٢ وتاريخها سنة ١٢٨٨ هـ .

نسخة رقم ٦١٣ وتاريخها سنة ١٣٠١ هـ .

هذا ، وقد وجدنا في كتاب « تاريخ الأدب العربي » لبروكلمان ١ : ٥٢ الترجمة العربية) ذكراً لوجود قطعة من قصيدة البحري التي مدح بها أبا سعيد

محمد بن يوسف مع ترجمة تركية لمحمد بن شرف الدين فهرست مكتبة أذربيجان
٢ : ٣٩٥ - ٣٩٦ . وقد أشار بروكلمان إلى هذه القطعة ، وهي الأبيان ٤١
وما بعدها من القصيدة ٦٢ (وانظرها في طبعتنا هذه صفحة ١٨٨ - ١٨٩)
وتبدأ هذه الأبيات بقوله :

يا أَهْلَ حَوْزَةِ أَذَرْبَيْجَانِ أَلُئِي حَازُوا أَلْمَكَارِمَ مَشْهَدًا وَمَغِيًّا

° ° °

وقد استطعنا أن نحقق طبعتنا هذه على خمس عشرة نسخة مخطوطة سنصفها
فيما بعد ؛ وهذه المخطوطات التي اجتمعت لنا تنقسم إلى أربع مجموعات :
١ - مجموعة رُتبت القصائد فيها على الأشخاص . وعلى رأس هذه المجموعة
مخطوطة كوبريلتى التي رمزنا لها بحرف (ا) ؛ وأخواتها د : و ، ز ، ط ، م ،
ن ، س .

٢ - مجموعة مرتبة على حروف المعجم . على رأسها مخطوطة باريس التي
رمزنا لها بحرف (ب) واتخذناها أمّا في تحقيق الديوان . وتسير في ركابها
خطوة فخطوة مخطوطة ميونخ التي رمزنا لها بحرف (ج) . أما المخطوطتان ■ . ي
فتختلفان أحياناً في ترتيب قصائد كل قافية عن المخطوطة (ب) ، وتنفقان معها
أحياناً في بعض الترتيب .

٣ - مجموعة رتبت القصائد على أبواب ، كل باب في غرض بعينه كالمدح
أو الفخر ، أو الرثاء ؛ إلى آخر هذه الأبواب . وهذه المجموعة تنضوى تحت لواها
النسختان اللتان رمزنا لهما بحرفي (ح) ، (ل) .

■ - ثم مجموعة جمعت بين ترتيب نسختي الأبواب في أولها ، واختلفت عنها
بعد ذلك في بعض قصائد متفرقة لا ترتبط بقافية أو غرض ؛ ثم اتبعت في قسمها
الأخير نظام الترتيب على القوافي . وهذه المجموعة تمثلها نسخة وحيدة هي التي
رمزنا لها بحرف (ك) .

° ° °

وهذا هو صف للمخطوطات التي رجعنا إليها : أقدمه في وضوح ليكون صورة كاملة الملامح أمام القارئ : وأبين الفروق بين كل منها :

النسخة (١) :

هي المخطوطة المحفوظة بخزانة كوبريلى بالآستانة برقم ١٢٥٢ وعدد أوراقها ١٩٧ ورقة مقاسها ٣٣×١٧ سم . وعدد السطور في كل صفحة ٣٢ سطراً . ويرجع تاريخها إلى عام ٤٢٤ - ٥٤٢ هـ ؛ إذ جاء على الورقة الأولى هذه العبارة « كتبه على بن عبد الله الشيرازي بمدينة تبريز في سنة أربع وعشرين وأربع مائة في شهر رمضان منها » . وقال ناسخها إنه خدم بها « خزانة كتب الأستاذ الجليل أبي المظفر إبراهيم بن أحمد ابن الليث : أطال الله في العز والنعم بقاءه وأدام علاه » . وهي مكتوبة بالقلم النسخ ومضبوطة بالشكل ضبطاً كاملاً ودقيقاً .

واتبع فيها ناسخها طريقة خاصة هي وضع حرف (ح) صغيرة تحت الحاء تمييزاً له عن الجيم والحاء . ووضع نقطة تحت حرف الدال تمييزاً له عن حرف الذال « وكذلك وضع ثلاث نقط تحت السين ليميزها من الشين . ثم وضع هذه الحروف الصغيرة = ، ط ، ء تحت حروف الصاد والطاء والعين . أما من حيث حركات الضبط فإنه يكتب الشدة المفتوحة أو المضمومة بوضع الفتحة أو الضمة تحت الشدة مباشرة : وحين يكتب الشدة المكسورة يضع الشدة وحدها فوق الحرف والكسرة تحته .

وقد بدأ الورقة ١ ظ بهذه العبارة :

« بسم الله الرحمن الرحيم » وما توفيقى إلا بالله . قال البحرى وهو الوليد ابن عبّيد بن يحيى بن عبّيد بن شمال بن جابر بن سلمة بن مسهر بن الحارث بن خثيم بن أبي حارثة بن جدى بن تدول بن بحشر بن عثود بن عنيش بن سلامان بن ثعل بن عمرو ابن القوث بن جلهمة وهي طيى ؛ وكنيته أبو عبادة يمدح أمير المؤمنين المتوكل على الله ويذكر صلح بنى تغلب .

ثم يتبدى بذكر القصيدة رقم ٥١٦ التى مطلعها :

مُنَى النَّفْسِ فِي أَسْمَاءٍ أَوْ نَسْتَطِيعُهَا بِهَا وَجَدُهَا مِنْ غَادَةٍ وَوَلَوْعُهَا
وينتهي بذكر القصيدة رقم ٧٠٠ التي مطلعها :
رَاجَعَ الْقَلْبَ بَنُّهُ وَخَبَّالَهُ لَخَلِيطَ زُمَّتْ لَبَيْنِ جِمَالَهُ
ويختم المخطوطة بهذه العبارة :

« هذا آخر ما وُجد من شعر البحترى في جميع النسخ والحمد لله رب
العالمين وصلى الله على رسوله محمد وآله وسلم تسليماً . وحسبنا الله ونعم
الوكيل . كتب على بن عبيد الله الشيرازي بمدينة تبريز في صفر سنة
خمس وعشرين وأربع مائة وهو يستغفر الله » .
فكأنه أمضى في نسخها ستة أشهر .

وقد بلغ عدد قصائد هذه المخطوطة ٦٥٠ قصيدة ومقطوعة . وهي ليست مرتبة
على حروف المعجم ولا على الموضوعات « ولكنها - على قول الأستاذ ا . س .
مرجليوث في « دائرة المعارف الإسلامية » (مجلد ٣ : ٣٦٨ الترجمة العربية ؛ مادة
« البحترى ») - « مرتبة بأسماء الأشخاص والأسر الذين قيل الشعر فيهم ، ولو أن هذا
الترتيب لم يكن مرعياً على الدوام » . فهي تجيء ببعض القصائد التي نظمها في المتوكل
ثم في الفتح بن خاقان ، ثم المنتصر والمستعين والمعتز والمهتدي « ثم بعض الوزراء
والقواد ، لتعود بعد ذلك فتكرر هؤلاء الأشخاص وترجّ بين هذا وذاك مقطوعة
هجو أو عتاب أو استسقاء أو رثاء وغير ذلك من أبواب الشعر .

وهذه النسخة هي التي طبعت عليها الطبعة الأولى للديوان بمطبعة الجوائب
بالآستانة ١٣٠٠ هـ [١٨٨٢ م] كما ذكرنا من قبل .

ولقد تنقلت هذه النسخة من يد إلى أخرى على مدى هذه القرون الطويلة «
وامتلات ورقتها الأولى بخطوط متعددة تبين التمليكات المختلفة : حتى امتلكها
كوبريلي ووقفها . (انظر اللوحات ١ ، ٢ ، ٣) .

النسخة (ب) :

هى المخطوطة المحفوظة بالمكتبة الأهلية بباريس برقم ٣٠٨٦ وعدد أوراقها ٤٣٢ ورقة مقاسها ٢٦×١٧ سم ، وعدد السطور فى كل صفحة ١٩ . وقد كتب على الورقة الأولى منها « الأول من ديوان أبى عبادة البحرى رحمه الله » وعليها بعض تمليكات واستعارات مشطوب عليها ، ثم ينتهى النصف الأول منها عند البيت ٤٤ من القصيدة ٤٧٣ التى مطلعها :

سَهْرُ أَصَابِكَ بَعْدَ طُولِ نَعَاسٍ لَصُدُودِ أَغْيَدٍ فَاتِنٍ مَيَّاسٍ

وهى قصيدة يبلغ عدد أبياتها ٨٤ بيتاً ، أكملناها من النسختين ٥٠ هـ . وهى واردة فيهما من ٨٣ بيتاً . ولاشك فى أن هذه المخطوطة قد ضاع منها أكثر من ورقة . وأن الأوراق المفقودة كانت تضم بقية هذه القصيدة ثم بعض المقطوعات التى تليها إلى المقطوعة ٤٧٨ من حرف السين إن لم تكن جميع هذه المقطوعات . ثم تبدأ قافية الصاد بهذه العبارة « النصف الثانى من ديوان البحرى » وأولها القصيدة ٤٨٩ ومطلعها :

مَا لِيذَا الظُّبْيِ لَا يُنَالُ أَقْتِنَاصُهُ وَهُوَ بِالْقُرْبِ بَيْنُ أَفْرَاصِهِ

وهذه المخطوطة مكتوبة بخط نسخ عادى . أمّا عناوين القصائد والمقطوعات فقد كتبت بالخط الثلث ، وضبطت بعض حروفها بالشكل : ولكن هذا الضبط فى أكثر الأحيان خاطئ كما أنها مليئة بتصحيح كثير . وكتب بأعلى الورقة « (٢ ظ) ما يلى :

« بسم الله الرحمن الرحيم . قال أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد ابن شمال بن جابر بن سلمة بن مسهر بن الحارث بن جشم بن أبى حارثة بن جُدَيْى بن تدول بن بُحْتُر بن عَتُود بن عنين بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن جُلُهْمَة - وهوطي - بن أدد بن زيد بن الهَمَيْسَع : ويقال ابن كهلان بن سبأ بن يَشْجُب ابن يعرب بن قحطان » على قافية الهزجة يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الثغرى الطائى .

وتبدأ بذكر القصيدة رقم ١ ثم تنتهي بالقصيدة ٩٣٣ ومطالعها :

قَطَعْتُ أبا لَيْلَى وما كُنْتُ قَبْلَهُ قَطُوعاً ولا مُسْتَقْصِرَ الوَدِّ جَنَافِيا

وقد جاءت القصيدة ١٨ في هذه النسخة تالية للمقطوعة ٩ في طبعتنا هذه . ثم القصيدة ١٩ والمقطوعتان ١٠ و ٢١ بعد القصيدة رقم ١٢ في طبعتنا ، ثم تجيء المقطوعات ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ بعد المقطوعة ١٤ من طبعتنا فنقلناها إلى قافية الألف المقصورة ، وكذلك نقلنا إلى هذه القافية المقطوعة رقم ٢٦ وكانت تقع في المخطوطة في الورقة ١٨٨ ظ في حرف الراء بين المقطوعة ٣٩٢ والقصيدة ٣٩٣ لغلبة الألف المقصورة . كذلك جعلت هذه المخطوطة قافية الواو قبل الهاء فنقلنا المقطوعة الوحيدة التي في قافية الواو بعد نهاية قافية الهاء لنتمشي مع الترتيب المصطلح عليه لحروف الهجاء .

ونختم النسخ هذه المخطوطة بهذه العبارة :

« تم الديوان وكل ، والله الحمد والمنّة ، وصلواته على خير خلقه محمد وآله أجمعين . ووقع الفراغ منه يوم الجمعة رابع عشر صفر سنة عشر وستائة ، وذلك على يد العبد الفقير إلى رحمة الله تعالى عليّ بن محمد بن أبي القاسم بمدينة الموصل برسم خزانة الإمام العالم الفاضل جمال الدين أديب الأدباء مخلص الدين أدام الله علوه وحرس سموه لمحمد وآله » .

وتشارك هذه النسخة مع بعض النسخ الأخرى في إثبات الكثير من شعر البحترى الذي لم يرد في المخطوطة (١) وفي طبعات الديوان السابقة ، وهو الشعر الذي أشار المعري إلى مطالع كثير من قصائده في كتابه « عبث الوليد » . ولكنها تنقص عدداً من القصائد التي أثبتناها نحن من النسخ الأخرى التي تليها في التاريخ ، كما أن بعض قصائدها كانت تنقص أبياتاً أو كلمات من بعض الأبيات فأكملناها من غيرها .

وقد بلغ عدد قصائد هذه النسخة ٨٣٥ قصيدة ومقطوعة ، أضفنا إليها من النسخ الأخرى ٩٨ قصيدة ومقطوعة . وانفردت هي عن النسخ الأخرى بسبع وعشرين قصيدة ومقطوعة اشتركت أختها النسخة (ج) في أربع عشرة منها .

والنسخة (ب) هي التي اعتمدها أمّاً في تحقيقنا لهذا الديوان وفي ترتيبه لأنها أقدم ما وقع لنا من المخطوطات التي رتب فيها القصائد على حروف المعجم ، فتاريخها هو سنة ٦١٠ هـ ، كما بينّا . (انظر اللوحات ٤ ، ٥ ، ٦) .

النسخة (ج) :

هي المخطوطة المحفوظة بمكتبة ميونخ في ألمانيا برقم ٥٠٨ وعدد أوراقها ٨٧ وسطورها تختلف بين ٣١ و ٢٤ سطرّاً في الصفحة . وهي مكتوبة بخط مزيج بين الرقعة والفارسي ، ليس بالمتن وغير مضبوط بالشكل وفيه تصحيف كثير . ولم يعرف اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها لأنها ناقصة وفي بعض أوراقها تشويه أرّضه ، ولكننا نرجع تاريخها إلى القرن السادس الهجري تقريباً .

وهي مرتّبة على حروف الهجاء بالترتيب نفسه الذي سارت عليه المخطوطة (ب) ؛ ولعلها أن تكون منقولة عنها أو عن نسخة أخرى منقولة عن تلك . ولكنها تنتهي عند البيت ٣٢ (صفحة ٧٣٨) من القصيدة ٢٨٨ التي مطلعها :

رُنُوْ ذَاكَ الْغَزَالِ أَوْ غَيِّدُهُ مُوْلَعُ ذِي الْوَجْدِ بِأَلَّذِي يَجِدُهُ
أى عند البيت الذي يقول فيه :

تَرْفُقًا فِي أَطْلَابِ مَالِهِمْ وَجَمْعِهِ ، أَوْ يَعْصِمُهُمْ بَدْدُهُ

وبذلك يكون عدد قصائد هذه المخطوطة ٢٦٣ قصيدة ومقطوعة . وقد اشتركت مع المخطوطة (ب) في إيراد ١٤ قصيدة ومقطوعة لم ترد في المخطوطات الأخرى .

النسخة (د) :

هي المخطوطة المحفوظة بمكتبة أسعد أفندي بالآستانة برقم ٢٦١٥ ، وهي النصف الثاني من ديوان البحرى ، وتبدأ بالقصيدة ٣٤ (انظر صفحة ١٠٤) ومطلعها :

رَأَى الْبَرْقَ مُجْتَازًا فَبَاتَ بِلَالِبٌ وَأَصْبَاهُ مِنْ ذِكْرِ الْبَخِيلَةِ مَا يُصْبِي

وعدد أوراقها ٢٠٧ ورقة ، سطور كل صفحة منها ١٥ سطراً . وقد كتبت بخط فارسي « واملأت ورقاتها الأولى والأخيرة بمختارات من الشعر والحكم لعدد من الشعراء المعروفين وغير المعروفين » وعليها تمليكات متعددة « من بينها تملكك يُستدلُّ منه على أنها كانت كاملة فضاع النصف الأول منها إذ جاءت هذه العبارة بالورقة ٢ مكتوبة بخط فارسي جميل « ملكه مع مجلده الأول الفقير إلى ربه ذى العوارف عبد الباقي عارف بمصر القاهرة » . وبهذا القلم كتب فوق هذا التملكك هذه العبارة « بخط الشهاب » أى أنها بخط الشهاب الخفاجي المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ .

وترتيب هذه المخطوطة هو الترتيب نفسه الذى التزمته النسخة (ا) وتنتهى كذلك بالقصيدة رقم ٧٠٠ ويختمها ناسخها هكذا :

« هذا آخر ما وجدناه من شعر البحترى فى جميع النسخ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه » .

ثم يكتب بأعلى هذه الورقة (الورقة ٢٠٧) نقلا عن أمالى المرتضى :

« كان سبب خروج البحترى من بغداد فى آخر أيامه هذه الأبيات »

ويورد أبيات المقطوعة رقم ٦٠٥ وهى أبيات لم ترد فى النسخة (ا) وإخوتها ومنها النسخة (د) نفسها ومطالعها :

أَخَى مَنِ خَاصَمْتَ نَفْسَكَ فَأَخْتَشِدْ لَهَا وَمَنِ حَدَّثْتَ نَفْسَكَ فَأَصْدُقِ

ونجد فى هوامش هذه المخطوطة نقولاً من كتاب « عبث الوليد » للمعري .

وقد بلغ عدد قصائد هذه المخطوطة (النصف الثانى من الديوان) ٢٣٤ قصيدة .

النسخة (هـ) :

وهى المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١٥٣١ هـ وعدد أوراقها ٣٤٠ ورقة ، وسطور كل صفحة ٢١ سطراً . وهى مكتوبة بخط نسخ جميل للغاية ، ولكن فيه تحريفاً وتصحيحاً كثيراً وتتركزاً للنقط أو لبعض الكلمات ورسماً

لبعضها الآخر إذا تعذر على الناسخ فهمه ولم تضبط بالشكل إلا نادراً . أما عناوين القصائد فقد كتبت بالمداد الأحمر . وهى مجدولة كذلك بهذا المداد . واسم الناسخ مصطفى بن حسن بن محمد الحسينى الصمادى . تاريخ نسخها سنة ١١٠٠ هـ . وقد قدم لها بما يلى :

«بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين . وبعد فهذه أوراق تشتمل على معظم نظم أبى عبادة البحرى رحمه الله تعالى ، نقلته من ديوانه بيد أنى أسقطت المجزء فلم أنقل منه شيئاً ؛ والله الموفق الهادى إلى سبيل الصواب . منه المبدأ وإليه المآب . »

وهذه المخطوطة مرتبة على حروف المعجم ، ولكنها تختلف فى ترتيبها أحياناً عن النسخة (ب) ، وتتفق أحياناً معها فيه . فهى تبدأ بالتصيدة ٢ وتليها القصائد : ١ ، ٣ ، ١٢ ، ٨ ، ٧ ، ٦ ، ١٦ (وهى القصيدة التى انفردت بها وقد أورد المعرى بيتاً واحداً منها خلال كلام له) . وهكذا فى باقى القصائد والمقطوعات فى جميع القوافى إذ تتقدم أو تتأخر واحدة منها عن ترتيبها الذى جاء فى طبعتنا .

ووضعت القصائد التى تنتهى قافيتها بالهمزة والكاف أو الدال والكاف أو العين والكاف فى قافية الكاف . ويرى أبو العلاء المعرى هذا الرأى فى كتابه « عبث الوليد » . ولكننا اتبعنا الحرف السابق للكاف الزائدة إذا لم يكن ذلك الحرف من بنىة الكلمة . كذلك جعلت هذه المخطوطة حرف الواو قبل الهاء كما جاء بالنسخة (ب) . وقد جاء بهوامشها بعض نقول من « عبث الوليد » .

وانتهت هذه المخطوطة كما انتهت المخطوطة (ب) بالتصيدة ٩٣٣ وختمها ناسخها بهذه العبارة :

« هذا آخر ديوان الشاعر الأديب البحرى رحمه الله تعالى . وكان الفراغ من تعليق هذه النسخة اللطيفة فى اليوم الخامس والعشرين من ربيع الأول الأنور سنة مائة بعد الألف على يد العبد الفقير المعتمد

على عفو ربه الهادى مصطفى بن حسن بن محمد الحسينى الصمادى
غفر الله له ولوالديه ولكل المسلمين أجمعين . والحمد لله رب العالمين .
آمين » .

وبآخر هذه الورقة ختم بالقلم الفارسى الجميل يشير إلى أن هذه النسخة « من
ممتلكات مصطفى نجيب » . أما الورقة الأولى فإن فيها تمليكات مشطوبة ما عدا
اثنين منها . الأول عبارته « من عطا الله إلى عطا الله سنة ١٢٠١ » والثانى عبارته
« كتبت أقول ملكى والملك لله الملك العظيم وأنا الأقل حسن بن المرحوم السيد باقر
ابن السيد إبراهيم فى ٢١ رجب سنة ١٢٣٤ » ثم ذيل ذلك بختم « حسن الحسينى » .
وقد بلغ عدد قصائد هذه النسخة ٦٤٠ قصيدة ومقطوعة انفردت بسبع منها
لم ترد فى النسخ الأخرى . (انظر اللوحات ٧ . ٨)

النسخة (و) :

هى المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١٢٦٧ وعدد أوراقها ٣٢٣
وسطورها فى كل صفحة ١٩ . وهى مطابقة فى ترتيبها لمخطوطة كوبرلى التى
رمزنا لها بحرف (ا) . وناسخها هو فرج الله بن نعمان الخزوى المكيّ ، فرغ
من كتابتها فى غرة المحرم سنة ١٢٦٦ هـ . وخطها نسخ عادى . مليئة بالتحريف
والتصحيف ونقص فى بعض الأبيات .

النسخة (ز) :

هى مخطوطة أخرى محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٢٦ أدب م . وعدد أوراقها
٢٩٢ ، كل صفحة منها ٢١ سطراً . وهى كالنسخة (و) مطابقة لمخطوطة
كوبرلى (ا) . وخطها نسخ عادى ، مليئة كذلك بالتحريف والتصحيف
وتنقص الأبيات : وناسخها هو مصطفى بن حسن البابلى ، فرغ من كتابتها فى
يوم الجمعة الثانى والعشرين من شهر رجب سنة ١٢٨٣ هـ .

النسخة (ح) :

هى المخطوطة رقم ٦١٥ المحفوظة بدار الكتب المصرية : وعدد أوراقها ٢١١
وسطورها فى كل صفحة ١٩ سطراً . وهى مكتوبة على ورق أصفر بخط نسخ

عادي غير مضبوط بالشكل : وفيها كثير من التحريف والصحيف وقد ميّزت عناوين القصائد بالمداد الأحمر . وبلغ عدد فصائدها ومقطوعاتها ٤٥٧ تشترك هي والنسخة (ل) في ذكر ٣٩ قصيدة ومقطوعة لم ترد في النسخ الأخرى .

وهي مقسمة إلى سبعة أبواب : الأول في المديح والتهنئة : ولم يذكر في الورقة الأولى اسم هذا الباب ولا عنوان القصيدة الأولى منه : وهي القصيدة ٥٥٥ . وإنما بدأت المخطوطة هكذا :

« بسم الله الرحمن الرحيم . قال أبو عبادة الوليد بن عُبَيْد البحرى » :

أَتَرَكَ تَسْمَعُ لِلْحَمَامِ الْهَتَفِ شَجْراً يَكُونُ كَشَجَرِكَ أَلْمُسْتَطْرَفِ

ثم يليه الباب الثانى وهو « فى الفخر » : والثالث « فى المراثى والتعزية » : والرابع « فى العتاب وذم الزمان والاستبطاء » : والخامس « فى الهجاء » : والسادس « فى المكانبات والمداعبات والمزاح وسقيا الراح » : والسابع « فى الرقيق والغزل » .

وتنتهى هذه المخطوطة بهذه العبارة :

« هذا آخر شعر البحرى والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم . وكان الفراغ من كتابتها يوم الأربعاء ٢٤ مضت من شهر ربيع الآخر سنة ألف ومايتين ستة وتسعين من الهجرة على يد الفقير إلى الله تعالى الراجى حسن المساعى عبد الوهاب سليمان السباعى والحمد لله وحده » .

ولم يذكر الناسخ شيئاً عن النسخة الأصلية التى نقل عنها « ولعلها أن تكون منقولة عن النسخة (ل) التى يمتلكها الأستاذ الدكتور محمد صبرى ، أو عن نسخة منقولة عن تلك .

النسخة (ط) :

هى مخطوطة مكتبة الأزهر رقم ٢٤١ أباطة ٦٨٤٦ وعدد أوراقها ٣٦٣ وسطور كل صفحة منها ١٧ سطراً ، ومجدولة بالمداد الأحمر . وهى فى ترتيبها كالمخطوطة (أ) وجاء فى نهايتها :

« هذا آخر ما وجدناه من شعر البحرى قال جامع هذه النسخة :
وقد حذفنا من شعره كثيراً من هجوه لعدم سلاسته : والله سبحانه
وتعالى أعلم » .

وهى بخط عبد الوهاب سليمان السباعى - ناسخ المخطوطة (ح) التى تختلف
فى ترتيبها عن هذه النسخة - فرغ من كتابتها يوم الأحد تاسع عشر من شوال
سنة ١٢٩٣ . وقال إنه نقلها عن نسخة بدار الكتب المصرية . ولعلها إحدى
النسختين (و) ، (ز) اللتين وصفناهما من قبل .

على أنه قد تبين لنا أن ناسخها لم يكتف بحذف شعر الهجو ، بل إن فى
هذه النسخة نقصاً كبيراً فى عدد من القصائد التى لاهجو فيها ، فاتها أو سقطت
منه . وفى هذه النسخة من التصحيف والتحريف ما فى الأصل الذى رجع إليه
ويزيد .

النسخة (ى) :

هى المخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٢٧ م . وعدد أوراقها ١٩٧ وسطور
كل صفحة منها ٢٥ سطراً . وقياسها كبير ٢٣,٣ سم × ٣٦,٥ سم مرتبة مع
حروف المعجم باختلاف عن النسختين (ب) ، (هـ) : ومجدولة بالمدايا الأحمر ، وخطها
نسخ ردىء متداخل الحروف ، وضبوبة بالشكل ولكنه ضبط خاطئ ، وشحونة
بالتحريف والتصحيف ورسم الكلمات على غير فهم . ولم يعرف تاريخ كتابتها
ولا اسم ناسخها . وهى ناقصة ، والموجود منها إلى حرف الكاف . ونرجح أن تاريخها
يرجع إلى القرن الحادى عشر الهجرى .

ويبلغ عدد قصائدها ومقطوعاتها ٣٤٩ ، وعلى الرغم من نقصها فإن فيها إحدى
عشرة قصيدة ومقطوعة انفردت بها عن النسخ الأخرى ، كما اشتركت مع النسخ
(ب، ج، هـ ، ح ، ك ، ل) فى إثبات قصائد ومقطوعات لم ترد فى النسخة (أ)
وابنوتها .

وفى أول هذه النسخة مقدمة فى تسع ورقات تشمل على أخبار البحرى مما

رواه الصُّوْلُ « وهي التي نشرها الدكتور صالح الأشر في كتاب على حدة بعنوان « أخبار البحري » واعتمد فيها على مقدمة هذه النسخة وعلى نسختين أخريين من هذه المقدمة ؛ إحداهما محفوظة بمكتبة الإمبروزيانا في ميلانو ، ومنها فيلم محفوظ بمعهد إحياء المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية ؛ والأخرى نسخة المشرق ماسينيون وهي منسوخة عن نسخة دار الكتب المصرية سنة ١٣٢٨ هـ (١٩١٠ م) . وقد ظهر هذا الكتاب عام ١٩٥٨ بين مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق .

وقد نشر جزء كبير من هذه الأخبار كقائمة لطبعة الديوان التي نشرها أمين هندية بالقاهرة سنة ١٩١١ وقد أشرنا إلى ذلك حين تكلمنا على تلك الطبعة .

النسخة (ك) :

هي نسخة حديثة محفوظة بمكتبة المشرقين الألمان بمدينة هال (ليزج) بألمانيا برقم ١٠١ . وعدد أوراقها ٢٢٢ سطور كل صفحة منها ١٥ سطراً . وكان المشرق الألماني الكبير الأستاذ الدكتور كارل بروكلمان قد كتب إلى في سنة ١٩٥١ رسالة يذكر فيها أنه وجد نسخة في جمعية المشرقين الألمان وهي من تركة الأستاذ سوسن Socin وأنها حديثة ولا تاريخ لها ولا إشارة إلى أصلها . وقال لي - رحمه الله - في رسالة أنه قابلها على طبعي الديوان - طبعة الجوائب وطبعة مصر - فوجد فيها كثيراً من الأشعار غير الموجودة في الطبعتين ، وأنها مرتبة ترتيباً غير ترتيب أصل الطبعتين « وأبي فضله إلا أن يفهرسها لي ذاكرةً مطالع القصائد والمقطوعات التي لم ترد في المطبوع وعدد أبيات كل منها . وهذا فضل له أسجله هنا إلى جانب ما قدم للأدب العربي وتاريخه من فضل بكتابه القيم الذي تقوم الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية متعاونة مع دار المعارف على نشره بعد أن قام بنقله إلى العربية الدكتور عبد الحليم النجار .

وبعد سنوات تفضل على المشرق الألماني الأستاذ الدكتور يوهان فك Johann W. Fück فبحث عن هذه المخطوطة ثم أرسل إلى فيلمًا مصوراً لها . فأسجل له هنا هذا الفضل .

وهذه المخطوطة تضم ٣٤١ قصيدة ومقطوعة ، انفردت بست عشرة قصيدة

ومقطوعة لم ترد في المخطوطات الأخرى ، كما تنفرد بطريقة في ترتيب القصائد حيث اقتفت أثر النسختين (ح) ، (ل) اللتين رتبا القصائد على أبواب فابتدأ بقصائد المديح . وقد اتفقت النسخة (ك) معهما في الإحدى والأربعين القصيدة الأولى ثم بدأت تسقط قصيدة ثم قصيدتين ثم ثلاثاً ثم أكثر من ذلك حتى بلغت القصيدة التاسعة والخمسين في ترتيبها (وهي القصيدة ٢٩٠ في ترتيبنا) فاختلقت عن نهج النسختين (ح، ل) . وبدأت ترتب القصائد التالية على حروف الهجاء ولكنها لم تبدأ إلا بحرف اللام وكان أول ذلك القصيدة ٦٢٩ في ترتيبنا ، وقد سارت في ترتيب قصائد حرفي اللام والميم كترتيب النسخة (ب) ، وهو ترتيب طبعنا ، إلا في قصائد قلائل من هاتين القافيتين كانت قد وردت في القصائد الأربعين الأولى . وقبل أن تبدأ في قافية النون أوردت قصيدتين من حرف الحاء (هما القصيدتان ١٧٩ ، ١٧٦ في ترتيبنا) ثم المقطوعات ٦١٠ = ٣٣٨ = ٤٥١ (في ترتيبنا) ثم جاءت بقصائد حروف النون والهاء والواو والياء ما عدا بعض مقطوعات لم تذكرها من قافيتي النون والهاء .

وهذه النسخة مكتوبة بخط نسخ عادي ، ولم تذكر عناوين القصائد ، وفيها كثير من التحريف وبخاصة في القصائد التي انفردت بها .

النسخة (ل) :

هذه المخطوطة محفوظة بمكتبة الأستاذ الجليل الدكتور محمد صبرى الذى تفضل فأعازنى إياها ، ولم يشأ فضله أن يقف عند حد هذه الإعارة = بل أعانى بالكثير من إرشاده ، وإنى لأسجل له هنا هذا الفضل بالشكر والتقدير « وأحبُّ أن أقرر هنا أنه كان في عزمه أن ينشر الديوان منذ سنوات ثم نشر في سنة ١٩٤٦ دراسة تحليلية نفيسة عن أبي عبادة البحرى في سلسلة « الشوامخ » التى كان يتابع نشرها . فلماً علم أنى ماضٍ في تحقيق الديوان رحَّب بهذا العمل ، ولم يضمن على بما قدّم من فضل .

وهذه النسخة عدد أوراقها ٢٦٦ ورقة مقاس ٢٠,٥×١٥ سم ، وعدد السطور في كل صفحة ١٥ سطراً . وهى كالمخطوطة (ح) في الترتيب وعدد القصائد، ولعلها

أن تكون الأصل الذى نقلت عنه النسخة (ح) أو أصلاً لما نقلت عنه ، فهى قديمة ترجع إلى سنة ١٠٣٠ هـ ، وكان جديراً أن تنقدها فى مراجعنا ولكننا رجعنا إليها بعد أن كنا قطعنا شوطاً كبيراً فى تحقيقنا للديوان وسلمنا أصول القسم الأكبر منه للمطبعة فى منتصف عام ١٩٥٧ .

ويلاحظ أن هذه النسخة والنسخة (ح) قد خلستا من قصائد مدح الخلفاء والوزراء . وهى مقسمة إلى الأبواب السبعة التى ذكرناها عند وصف النسخة (ح) . وتبدأ هكذا :

« بسم الله الرحمن الرحيم . قال أبو عبادة الوليد بن عبيد البحرى » .
ثم تأتى بالقصيدة ٥٥٥ التى أولها : « أتُرَاك تسمع للحمام المتَّفِّ » .
وهى مكتوبة بخط نسخ ومضبوطة بالشكل الكامل ، يَسِينُ أنها لم تخلُ من أخطاء وتصحيحات وتحريفات ولكنها أقلُّ مما فى النسخة (ح) . وقد مُسِّرَتْ عناوين القصائد كذلك بالمداد الأحمر . وبلغ عدد قصائدها ومقطوعاتها ٤٥٧ ؛ منها ٣٩ لم ترد فى المخطوطات الأخرى إلا المخطوطة (ح) . وكتب على ورقتها الأولى بعض تمليكات محيت كلمات منها ، ولم يبق واضحاً إلا عبارة هذا التمليك :

« ممّا منّ الله به على عبده الراجى عفو ربه الغافر جعفر السيد باقر » .
وذيّل ذلك بختم « جعفر الحسنى » . وختمت بهذه العبارة :
« هذا آخر شعر البحرى ، والحمد لله رب العالمين وصلّى على محمد وآله » .
ثم هذه العبارات مكتوبة بخط فارسى :

« كتب بـ يوان فى أوائل شهر جمادى الآخرة سنة ثلثين .
وألف من الهجرة النبوية عليه أفضل التحية » ،
ثم هذه العبارة :

« كتبت من نسخة مكتوبة فى آخرها ما صورته :
فرغ من كتبه شيركا بن على الأصبهانى صبيحة يوم الأحد روزارد بيهشت
من ماه بهمن الواقع فى جميدى الآخرة سنة ست وثلثين وأربعماية .
وهو يحمد الله ويستغفره » .

وأخيراً هذه العبارة :
« ومكتوب في المنتسخ : بلغت القراءة والمعارضة بالأصل ففرغت منها
سلخ ذى القعدة سنة ست وثلاثين وأربعماية »

النسخة (م) :

مخطوطة مخطوطة بمكتبة شيخ الإسلام بالمدينة المنورة برقم ١٤٠ . وعدد أوراقها ٢٦٤ ورقة مقاسها ٢٥×١٢ سم . وعدد سطورها ٢٣ سطراً في الصفحة . وهي بخط منصور بن سليم الدماوى بالجامع الأزهر بمصر المحروسة سنة ١٠٣٦ هـ . وترتيبها كالنسخة (ا) .

النسخة (ن) :

مخطوطة مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ١٦٤٨ ز . وعدد أوراقها ٣٢٤ مقاسها ٢٤×١٦ سم وسطورها ١٩ ولم يذكر اسم ناسخها ولا تاريخ كتابتها . وهي حديثة ؛ عليها تعليقات بخط أحمد زكى باشا ، وترتيبها كترتيب النسخة (ا) أيضاً . وقد جاء في آخرها :
« هذا آخر ما وجدناه من شعر البحترى حذف منه بعض أبيات في الهجاء لقبحها وركاكة ألفاظها » .

النسخة (س) :

مخطوطة مكتبة عاشر أفندى بالآستانة رقم ٨١٩ ، وعدد أوراقها ١٢٠ ورقة في كل صفحة ٢١ سطراً . وهي عبارة عن مختارات من شعر البحترى بعنوان « السلك الدرّى في المختار من شعر البحترى » وتقع هذه المختارات في ٥٠ ورقة من هذه المخطوطة التى تضم كذلك مختارات من شعر الصنوبرى .
وهذه المخطوطة تتبع فى اختيارها ترتيب النسخة (ا) إلا أنها لم تذكر مقدمات للقوائد ، ولم تورد من كل قصيدة إلا بضعة أبيات .

• • •

والى جانب هذه النسخ المتعددة من مخطوطات الديوان ، رجعنا كذلك إلى

ثلاثة مراجع ممّا اختارت الكثير من شعر البحرى هى :

١ - اختيار من شعر البحرى لأبى بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانى المتوفى سنة ٤٧٤ هـ . اختار فيه أبياتاً من بعض القصائد لاجمعيها حسب الترتيب الهجائى ، قد يكتفى فيها بيت أو بيتين من القصيدة ، وقد يتجاوز ذلك إلى الاثنى عشر بيتاً . ومن الأبيات التى اختارها طائفة من شعر البحرى الذى لم يسبق نشره .

وقد نشر هذه المختارات العلامة عبد العزيز الميمنى أستاذ الأدب العربى بجامعة عليكره بالهند سنة ١٩٣٧ فى مجموعة بعنوان « الطرائف الأدبية » وطبعها لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة .

٢ - المختار من شعر البحرى فى كتاب « السفينة » لابن مبارك شاه أحمد بن محمد المتوفى سنة ٨٦٢ هـ . ويقع فى ثلاث وأربعين ورقة من الجزء الثانى من هذا الكتاب ، أى من الورقة ٢١ - ٦٤ ، وهى نسخة بخط المؤلف محفوظة بمكتبة فيض الله بالآستانة برقم ١٦١٠ . وهذا الاختيار كاختيار الجرجانى قائم على بيت أو بيتين من القصيدة وقد يتجاوز ذلك إلى أكثر من هذا العدد . وقد راعى فيه الترتيب الهجائى ، ولم يتناول جميع القصائد . ومن الأبيات التى اختارها طائفة من شعره الذى لم يسبق نشره ، بل منه ما هو وارد فى النسخة (ب) ووجدناه منسوباً فى بعض كتب الأدب لغير البحرى كالعباس بن الأحنف وابن بسّام وجحظة البرمكى .

٣ - كتاب الموازنة بين شعر أبى تمام والبحرى لأبى القاسم الحسن بن بشر الآمدى المتوفى سنة ٣٧١ هـ فقد وجدنا فى هذا الكتاب كثيراً من شعره الذى لم يسبق نشره ، وبخاصة فى القسم المخطوط الذى لم ينشر بعد من كتاب « الموازنة » . وقد جاء فى الجزء الأول من الطبعة التى تنشرها دار المعارف الآن من هذا الكتاب بتحقيق الأستاذ السيد أحمد صقر جزء من هذا القسم المخطوط .

• • •

هذا إلى جانب ما وجدناه متفرقاً فى مختلف كتب الأدب والتاريخ التى رجعنا إليها ونبّهنا عليها فى حواشى الديوان .

ختمام

أمّا وقد انتهيت من تقديم الديوان فقد وجب علىّ أن أقدمه للأدباء عامة ، ولعشاق شعر البحرى خاصة ، راجياً أن أكون عند حسن ظنهم بما أصنع ، فإن وجدوا نقصاً ، أو تبيّنوا شططاً ، فحسبى عندهم أن أكون قد مهّدت الطريق لغيرى وأثّرتُ صوّاه وأوضحتُ معاملته ، حتى يستكملوا ما نقص منه ، ويردّوا إلى الصواب ما جانبه فيه ، فالعصمة لله وحده ؛ ولا أدعى أنى بلغت فى هذا التحقيق الغاية القصوى ، ولكنى أومن أنى أدّيتُ فيه الواجب كما يجب أن أدّيه ، وجمعت فيه بين طريقة المستشرقين فى نشر النصوص وإثبات اختلاف المخطوطات وطريقة العرب الأقدمين فى إثبات الروايات والشرح والتعليق .

أما إن وجد هؤلاء الأدباء فيما صنعت ما يستحق الشكر ، فحسبى هذا جزاءً على السنوات التى قضيتها مع هذا الشاعر ، سالباً من نفسى الراحة والهدوء والاستقرار ، وباذلاً فى سبيله كل جهد مادى غير ضنين به ، فالرضا عما صنعت خير عِوض عما بذلت .

ووجب علىّ هنا أن أشكر كل من أمدّنى بالتشجيع والعون من إخوانى الأعزّاء الذين ذكرت أسماءهم فى هذه المقدمة ، كما أسجل هنا شكرى لأخى المحقق الأستاذ محمود محمد شاكر فقد أفدت من علمه ما هدانى إلى وجوه الصواب فى بعض ما اكتنفه الضباب .

والله أسأل أن يعجزى عنى كل من ذكرت خير الجزاء .

حسن كامل الصيرفى